421

HARLEQUIN

روايات أحلام

وداعاً زمن الأحلام

كاتي ويليامز

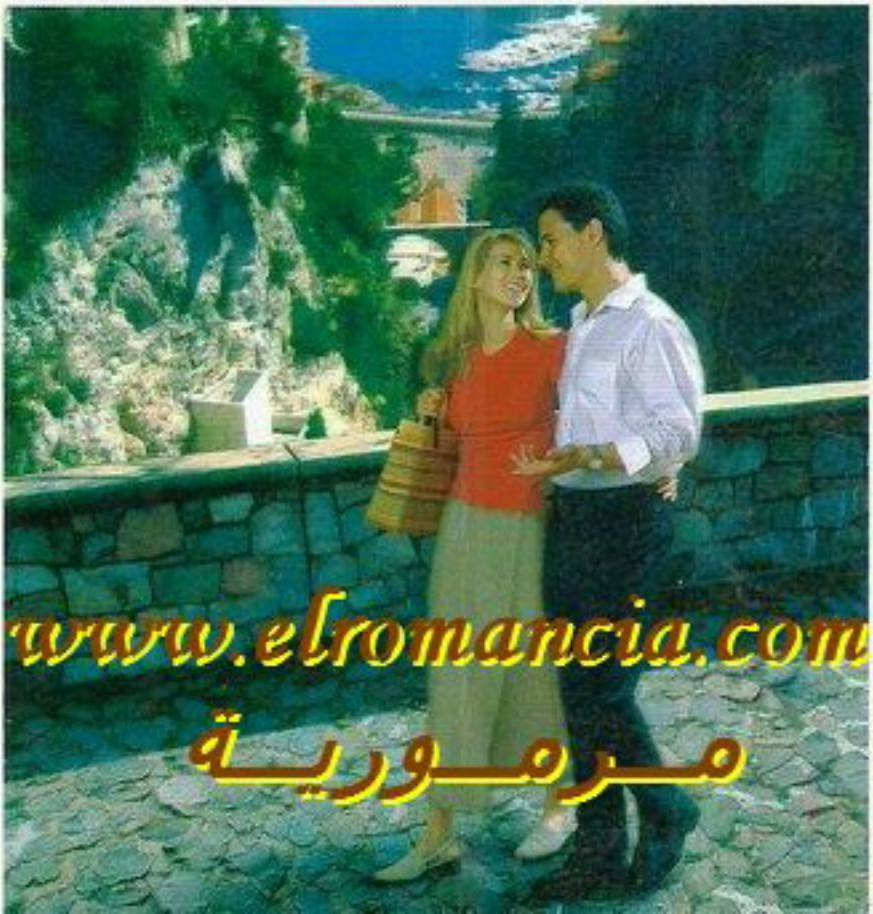

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

وداعاً زمن الأحلام

- هل تتكرمين باطلاعي على ما كنت تفعلينه في أعلى الشجرة عند منتصف الليل!
- ولم أنت ما تزال مستيقظا!
- ما الذي تظنينه! سمعت أحدهم يصرخ كالمجنون فأتيت كي أتحقق من الأمر.

ألقى رافاييل نظرة جانبية على أيمي ذات الهيئة الفوضوية الواقفة إلى جانبه. فشعر بالذهول. حاول أن يتصور أن إحدى صديقاته تتسلق شجرة فضل. فلا يمكن لامرأة جديرة بالاحترام أن تقوم بذلك.

لم تكن أيمي مستعدة لتبرير تصرفاتها له. فهو في النهاية مجرد بستاني ولا يهمها رأي هذا الشخص المنعزل الغريب الأطوار بها.

لكن ماذا لو علمت أنه المليونير الشهير رافاييل قايفس ورب عملها!

2500ل.ل	1دينار
75ل.س.	10ريال
1.5دينار	8جنيه
750فلس	15درهم
10دراهم	2دينار
10ريال	1ريال

ISBN 978-9953-15-380-6

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Kept by the Spanish billionaire
First published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Cathy Williams 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2008
ISBN 978 - 9953 - 15 - 389 - 6

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

كاثي وليامز

ولدت «كاثي» في جزيرة «ترينيداد» وترعرعت في «توباغو». نالت منحة دراسية فسافرت إلى بريطانيا. في جامعة «إيكسيتر» أكملت دراسة المادة التي لطالما عشقتها وهي اللغات والأدب. وفي «انكلترا» التقت زوجها «ريتشرد»، وهما يعيشان الآن في بريطانيا مع بناتهما الثلاث. أقاما بداية في «وادي التيمز» وبعدها في «ميدلاندز».

١ - دخيلة ومتطفل

لم يكن رافاييل ڤايڤس واثقاً من شعوره حيال الموقف الذي وجد نفسه فيه. أعليه أن يشعر بالتسلية، بالانزعاج، بالسأم أم بالسخط والغيظ من هذا الوضع؟ إن مجرد اضطراره إلى البقاء في ذلك المكان الذي يشبه الجنة لمدة عشرة أيام لمراقبة أخيه الأصغر، هو سبب كافٍ لجعله يصرّ على أسنانه بنزق، لا سيما أنه رجل يعتبر العمل الهدف الأساسي لوجوده في الحياة.

وجد رافاييل نفسه مرغماً على المكوث في منزل والدته القائم في منطقة الهامبتون، ولم يكن ذلك الأمر باختياره. ذلك أن والدته طلبت منه - أو بالأحرى أمرته - أن يقوم بمهمة مراقبة أخيه.

- عليك إبقاء عينك على أخيك جيمس، فأنت تعرف كيف يتصرف.

هذا ما قالته له. كان المخطط الأساسي لوالدة رافاييل أن ينضم هو أيضاً إلى الحفلة التي يقيمها أخوه جيمس في منزله. والحفلة هي مكافأة متميزة للموظفين الذين يعملون في لندن ونيويورك تقديراً لجهودهم التي عادت على الشركة بالأرباح السنوية الضخمة، وهي مبادرة جديرة بالثناء. لكن اعتراض رافاييل على هذه الفكرة، أي مشاركته في الحفلة، لم يكن أقل من اعتراض جيمس.

علّق جيمس قائلاً عنه والرعب واضح في نبرة صوته: «سوف يقف في زوايا المنزل محدّقاً في الموظفين مسبباً لهم الرعب».

أما بالنسبة لرافاييل نفسه، فمجرد التفكير بالمشاركة في الحفلة جعله يشعر بالارتباك والضيق. لم يعجبه أن يضطر إلى الاختلاط بجمع غفير من الناس طيلة النهار والليل من غير استراحة أو رحمة، فيما هؤلاء يأكلون

www.elromancia.com

ويشربون ويمرحون من دون مراعاة لأبسط قواعد التصرف اللائق.

نجح رافاييل وأخوه جيمس في إدارة شركتهما الضخمة. تولى جيمس ذو الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين الساحرتين إدارة الحملات الدعائية، في حين لعب رافاييل دور العقل المدبر والقوة الدافعة التي تقود الشركة وتديرها. حققت هذه العلاقة بين الشقيقين النجاح الباهر للشركة، ما أجبر والدتهما إيفا على التسليم بشروط الاتفاق الذي توصلا إليه على مضض والقبول به.

يقيم جيمس الحفلة في منزله الفخم، المطل على شاطىء الهامبتون الرئيسي المذهل. حيث تمتد الأراضي المحيطة بالمنزل بانسجام على مساحة اثني عشر ألف متر مربع من الشاطىء.

أما رافاييل فسوف يتولى أمر المراقبة عن بعد عبر مكوثه في هدوء وسكينة في منزل صغير مجاور. في المرة الأخيرة التي أقام جيمس حفلة في هذا المكان، أبدى جيرانه تذمرهم من الصخب والضجيج، وهو أمر يؤخذ بعين الاعتبار، خصوصاً أن أقرب جار له يقطن على مسافة بعيدة من المنزل.

حاول رافاييل أن يتملص من المهمة، لكن اعتراضاته باءت بالفشل أمام إصرار والدته. حاول التذرع بأن المدعوين إلى الحفلة التي أقامها جيمس منذ سنتين كانوا أصدقاءه المقربين، ولم تكن حفلة لموظفي الشركة. رغم ذلك هزّت إيفالي كتفيها متزعجة لمجرد ذكر الجلبة التي أثيرت حينها. يومها لم تجد مفراً من تقديم الاعتذارات لأصدقائها المقيمين في تلك المنطقة الراقية من شرق الهامبتون.

ما زال أمام رافاييل يوم واحد قبل البدء بمهمته في أداء دور الشقيق الأكبر، وهو مع ذلك بدأ يتوق إلى العودة إلى العمل، فالعمل هو ما يحب القيام به وما يجيده حقاً. اعترف في قرارة نفسه أن المنظر الطبيعي رائع هنا، تذكر لوهلة قصيرة فقط أنه لم يقم بزيارة هذا المكان ما يكفي من المرّات. فالأوقات التي أمضاها في منزل الأسرة الريفي حين كان يافعاً

أخذت تقلّ تدريجياً، حتى تحولت إلى زيارات قليلة بين الحين والآخر.

تناهت إلى سمع رافاييل أصوات أربعين شخصاً غريباً يمضون وقتاً ممتعاً، ولم يكن من الصعب تخيّل مشهد الحفلة بالنسبة إليه.

لقد تم استدعاء جيش من المستخدمين لتولي مهمات الضيافة والاهتمام بكل التفاصيل ذات الطبيعة العملية. بحيث يتولى هؤلاء طهو الطعام وتقديمه إلى المدعوين، بالإضافة إلى تقديم مختلف أنواع الشراب.

لا شك أن نفوس المدعوين ستمتلىء بالسرور والبهجة، ومن المحتمل أن يسيطر الطيش عليهم، خصوصاً أن موظفي الشركة من جهتي المحيط الأطلسي سيلتقون للمرة الأولى. سيتم التعارف بينهم من غير أن يزعجهم تواجد أزواجهم وزوجاتهم أو شركائهم في الحياة، لذلك ما من شيء سيعيق غبطتهم وتهورهم. أما في الصباح، فسوف تبدو، على الأرجح، عوارض الكسل والإرهاق على الضيوف، بعد قضاء ليلة من الصخب والمرح.

أنهى رافاييل كوبه وتنفس الصعداء متنهداً بارتياح لأنه سيعفى من المشاركة في المرح والألاعيب. إنه في الواقع لا يعرف أياً من أولئك المدعوين إلى الحفلة الساهرة.

أبلغ جيمس أخاه أنه يريد تقديم علاوة كمكافأة للمحاسبين والمدراء ولفريق العمل في التسويق، فهؤلاء برأيه يستحقون دوماً التقدير على جهودهم في زيادة أرباح الشركة. أما الآن، فإنه ينوي تكريم بقية أفراد فريق العمل أو «الجنود المجهولين» في تجربة يختبرونها مرّة واحدة في الحياة، وذلك من خلال تواجدهم في الجانب الشرقي لجزيرة لونغ آيلاند في نيويورك. أجفل رافاييل عندما استوعب ما يعنيه جيمس بقوله «الجنود المجهولين». إلاّ أنه أقرّ بأن جيمس على حق. يجب ألاّ تكون المكافآت حصراً على البارزين من الموظفين، بل عليها أن تصل إلى جيوب من هم أقل أهمية. فيما هو واقف على الشرفة الخشبية للكوخ محدّق في أعماق المحيط، فكّر رافاييل أن الاختلاف كبير بينه وبين أخيه غير الشقيق، فالهوّة

واسعة جداً بين شخصيتهما وذوقهما الخاص بالأصدقاء والنساء وأسلوب الحياة.

كان رافاييل يتأمل بتكاسل في ذلك الاختلاف الجذري بين شخصين يتشاركان على الأقل بعض الجينات الوراثية، حين لمح بطرف عينه حركة شيء ما أو أحد ما. بعدئذ سمع صوت حفيف ضعيف بين نباتات الحديقة وأشجارها الكاملة الروعة، وهو أمرٌ يدل على حضور أحدهم إلى المكان.

لا بد أن أحد ضيوف الحفلة قد ضلّ طريقه وهو خارج نطاق المنزل، وذلك بسبب الأجواء الحامية ووفرة الطعام والشراب والمرح.

وضع كوبه بحذر جانباً، ثم استدار باتجاه صوت الحفيف. مع أن ضوء النهار بدا متلاشياً، لكنه ليس أعمى. رأى رافاييل بوضوح فتاة شقراء تسير في الحديقة على أطراف أصابع قدميها كأنها تتسلل بعيداً عن مسرح الجريمة. كانت ترتدي بنطلوناً من الجينز الممزق الباهت اللون، وقميصاً ضيقة ترتفع عند خصرها لتكشف جزءاً من بطنها. إنها، بمعنى آخر، من ذلك الصنف من النساء اللواتي لا يعجب بهن رافاييل أبداً.

- هيه، أنتِ!

دوى صوت رافاييل على رأس آيمي كالقذيفة المدوية، فأطلقت صرخة ذعر خافتة قبل أن تستدير على عقبيها لتهرب. نظرة واحدة ألقتها باتجاه هذا الرجل الذي بدا لها كشبح مخيف، إلا أنه حقيقي في الوقت نفسه. نظرة بدت كافية لتحذّرها أنه ليس من الصنف الذي قد يضحك بصوتٍ خفيفٍ غير مبالٍ بحقيقة أنها على الأرجح تتخطى حدود ممتلكاته.

المكان فسيح جداً، وليس من السهل أن يعرف المرء أين تبدأ ملكية جيمس وأين تنتهي.

بدت الأراضي المحيطة بالمنزل الفخم مغرية بشكل لا يقاوم! أحسّت آيمي بشيء في أعماقها يحذرها لتعود في وقت مبكر إلى غرفة نومها، لكنها لم تستطع مقاومة إغراء التسكع في مروج العشب الخضراء التي تشكل منظراً طبيعياً خلاباً. جمال الطبيعة حثها على المتابعة وأغواها لتستكشف المكان

لفترة قصيرة فقط. أما الآن فقد وجدت نفسها أمام مشكلة كبيرة. عليها التملّص من رجل عملاق أخذ يدنو منها بسرعة!

أطلقت آيمي تنهيدة تنم عن الارتياح لاعتقادها أنها تمكنت من الاختفاء عن عيني الرجل، إلا أنها في الواقع لم تلاحظ حركته المختلسة للدنو منها حتى أطبقت أصابع يده على كتفها، فأجبرتها على التوقف.

جعلها رافاييل تستدير لتواجهه، فأجبرت على رفع نظرها إلى أعلى... فأعلى... إلى أن وجدت نفسها تحدق في أكثر الوجوه التي شاهدتها في حياتها وجوماً. رأت آيمي عينين سوداوين تحملقان نزولاً إليها، وقد ظهر على وجه الرجل الانزعاج والمزاج العكر.

أحسّت كأن شيئاً ما عالق في حلقها يعيق تنفسها حين نظرت إلى رافاييل. اتسعت عيناها وهما تحدقان به، فيما أخذ فكرها يستعرض احتمالات الخطر المتعددة التي تواجهها الآن.

من حسن حظها أنها ليست من النوع الذي تستطيع المواقف المحرجة والغرباء المجهولين البالغي الضخامة إرباكه. فهذه الأمور لا تقدر على كبت شخصيتها المتميزة بالحماس والمرح لفترة طويلة مهما بلغت درجة تهديدها.

- من أنت بحق الجحيم؟

- ما الذي تفعلينه هنا بحق الجحيم؟

تكلما في الوقت نفسه، وراحا يحملقان ببعضهما البعض بشراسة متساوية، إلى أن أبعدت يد رافاييل بقوة عن كتفها، وتراجعت إلى الوراء، فيما راحت عيناها الزرقاوان تقدحان شرراً.

- أنا طرحت عليك السؤال أولاً!

قررت المتابعة في التهجم دون وجل، بعد أن شعرت أن الكلمات تكاد تخونها فيما هي في أمس الحاجة إليها. بعدئذٍ فركت كتفها بحركة متعمدة، فيما انبعث الغضب من كل بوصة من جسدها.

أخذ رافاييل نفساً عميقاً ثم استجمع قدرته الرائعة على ضبط النفس، وهي القدرة التي جعلت منه منافساً قوياً في عالم المال الرفيع المستوى.

بعدئذٍ أدار ظهره ثم بدأ يسير مبتعداً باتجاه المنزل، تاركاً الشقراء البائسة تتخبط في انزعاجها المثير للشفقة، رغم أنه شعر برغبة جامحة في أن يطيل هذه المواجهة بينهما، لكي يوقف هذه المرأة عند حدها.

- هاي! أين تظن نفسك ذاهباً يا سيد؟

استدار رافاييل وحدّق في المرأة الصغيرة الجسم التي لم تتزحزح من مكانها، وقد وضعت هذه المرة يديها بحزم على وركيها. استطاع أن يرى أن النسيم يتلاعب بشعرها الأشقر المجعد مجدداً الفوضى فيه.

قال رافاييل بتهذيب بالغ ونبرة شديدة البرودة، وهو يكاد لا يصدق ما يسمعه: «عفواً؟».

- لقد سمعتني!

تقدمت آيمي بضع خطوات منه، وتابعت: «من أنت بحق السماء؟ وماذا تظن نفسك فاعلاً على ملكية جيمس؟».

- آه، يا إلهي! يا للمرأة المجنونة! أفترض أنك واحدة من أولئك المدعوين لديه في المنزل الكبير، مع أن ملابسك أسوأ قليلاً مما هو مفترض.

ثم أطلق ضحكة صغيرة ساخرة، جعلت الدماء تتسارع إلى رأس آيمي.

- كيف تجرؤ؟

تقدمت آيمي بضع خطوات لتقترب منه فغمرها الضوء المنبعث من الشرفة، واستطاع رافاييل أن يلاحظ أن تلك الشخصية الجذابة التي ينقصها التبرج والتنميق يرافقها وجه أقل ما يقال عنه إنه جميل. تركت هذه المرأة انطباعاً لدى رافاييل بأنها لا تتراجع حين يتعلق الأمر بالتعبير عن ذاتها، فافترض أنها محبة للصراخ، فظة، وتفتقر إلى الذوق الحسن.

حدّقت آيمي في رافاييل كأنما لتثبّت انطباعه، فقالت: «هل يعلم جيمس بوجودك هنا؟ هاه! أراهن أنه لا يعرف! أنا متأكدة من أنه سيغتبط عندما يعرف أن هناك متطفلاً على أرضه بغير حق!».

أطلق رافاييل ضحكة قبل أن يكرر: «متطفل؟!».

- لقد سمعتني... نعم متطفل!

حسناً! إن رافاييل لا يبدو تماماً كالمتطفل، لكنه أيضاً لا يبدو كأحد الأشخاص الذين يختلط بهم جيمس في العادة. هي أيضاً ليست بالضبط من الأشخاص الذين يصاحبهم جيمس، لكنها تعرف تماماً مواصفات هؤلاء. إنها تراهم يترددون إلى المطعم التابع لإدارة الشركة حيث تعمل في تقديم الطعام العالي الجودة للمدراء التنفيذيين في شركة جيمس. بالإضافة إلى ذلك تعمل آيمي أحياناً بعد دوام عملها إذا ما طلب منها جيمس ذلك، فتخدم أصدقاءه ونساءه الفاتنات والرجال المحبين للهو الذين يخرج برفقتهم، والذين يرغبون أحياناً في تناول بعض الطعام في قاعة مجلس الإدارة في الشركة، قبل التوجه إلى أحد النوادي الليلية الشعبية في لندن.

بالطبع لم يكن أي من المدراء يعرف أن جيمس يعتمد على مهارات آيمي في تقديم الطعام، فقد كان ذلك سرّهما الصغير على مدى سنة ونصف. إنه سرّ ينسجم تماماً مع طبيعة جيمس المغامرة التي تسعى إلى الفوز دوماً.

أليس ذلك ما سبب استرسالها من غير حياء في أحلام اليقظة التي تدور حول جيمس مع مرور الوقت؟ آه! إنه أكثر من مجرد رجل وسيم ذي خلفية عائلية ثرية!

رجعت آيمي إلى الواقع من الأفكار التي ملأت ذهنها، لتجد أن الرجل يراقبها ببرود وقد تعافى من نوبة الضحك التي انتابته.

- أنا لست متطفلاً، وفي الواقع لم أسمع طيلة حياتي اتهاماً سخيفاً ومضحكاً كهذا.

- إذاً، من أنت؟

- أنا شخص غير مستعد للوقوف هنا لإجراء حديث لا طائل منه مع امرأة ترتدي أسوأ الملابس.

قال رافاييل ذلك وصوته يقطر بالاحتقار. فقد يعجب بعض الرجال بالنساء اللواتي يصرخن، لكنه ليس أحدهم.

ازدادت تعابيره قسوة، وتابع: «بالإضافة إلى ذلك، ليست لدي رغبة

www.elromancia.com

بإجراء حديث مع زوجة أحد صيادي السمك».

شهقت آيمي وقد صدمها افتقاره للطف واللياقة المتعارف عليهما اجتماعياً.

مجدداً، أدار رافاييل ظهره نحو آيمي وأخذ يسير بخطى واسعة عائداً إلى المنزل. لم يستطع أن يتجاهل وجودها، فهي لم تتوقف عن الكلام والصراخ، لكنه بالطبع لن يستدير نحوها لمتابعة هذه المباراة الكلامية السخيفة. وما إن قفزت آيمي صاعدة إلى الشرفة الخشبية المسقوفة، حتى اندفع رافاييل تقريباً إلى داخل المنزل، ثم صفع الباب الأمامي بقوة في وجهها من غير أن يلقي نظرة أخرى وراءه.

كما هو متوقع، لم يطل الأمر قبل أن يسمع رافاييل المرأة تطرق الباب بقوة. رائع! الآن سوف يشتكي الجيران من صراخها الخارج عن السيطرة والجلبة المزعجة التي أثارتها!

اقترب من الباب بما يكفي كي لا يضطر إلى رفع صوته كثيراً، وقال: «ابتعدي من هنا، إنك تجعلين من نفسك أضحوكة. أنا لا أكترث أبداً إن كنت من المدعوين أم لا، فليس لدي وقت أبدده على النساء اللواتي يعتقدن أنهن يستطعن الحصول على مرادهنّ عبر الصراخ والصياح».

أخفضت آيمي صوتها لتوازي نبرته: «إن لم تخبرني من أنت سأضطر إلى إبلاغ جيمس عنك».

أملت آيمي فقط ألاّ تبدو كالطفلة المشاكسة الحادة الطباع التي تلجأ إلى الوشاية، إلا أنها تابعت تقول: «أنا أعرف أنك قد لا تمتلك الإذن بالتواجد على هذه الأراضي».

في الواقع كانت آيمي قد قررت عدم إضاعة وقتها في تناول الطعام والشراب، على الرغم من وفرة الأصناف المقدّمة في الحفلة. كل ما أرادته هو استغلال الفرصة للقيام بجولات استكشافية في المكان.

اندهشت آيمي عندما نجح الأمر، فقد فتح الرجل الباب وحدق فيها ليعلمها بأنها تستطيع الدخول.

في تلك اللحظة، تمكنت من رؤية رافاييل بوضوح للمرة الأولى، تحت أنوار الغرفة المضاءة. أدركت أنه طويل القامة، وأنها محقة بشأن شعره الشديد السواد. الأمر الوحيد الذي فاتها في الواقع، وقد اتضح لها الآن بشكل لا يمكن إنكاره هو أن الرجل جذابٌ بشكل لا يصدق. أما جاذبيته فليست من ذلك النوع الذي تزخر به صفحات المجلات بل من النوع الذي يتميز بالقوة والقدرة على التأثير.

هذا الإدراك الجديد خطف أنفاسها لوهلة، وما لبثت أن أخذت تتمعن بما حولها لبعض الوقت، مرضية فضولها في استكشاف المكان.

بدا المنزل صغير الحجم نوعاً ما، لكنه بعيد كل البعد عن الرثاثة. الأرضية الخشبية الفخمة في غرفة الجلوس تلمع متألقة كأنها تدعو العين إلى تأمل الغرفة الرحبة المريحة بتأن ودقة، حيث يهيمن موقد ضخم عصري الطراز. شردت نظرات عيني آيمي إلى أبعد من حدود الغرفة، فألقت نظرة سريعة على المطبخ الحديث الطراز، ثم على سلّم هو عبارة عن عدد من الدرجات التي افترضت أنها تقود إلى غرف النوم الواقعة في الطابق العلوي.

- المكان ليس سيئاً بالنسبة إلى متطفل.

ثم قالت مضيفة بعد أن لاحظت عبوس رافاييل: «اسمع! أنا آسفة إذا كنت قد تسببت بجرح كبريائك لأنني ناديتك بالمتطفل، لكنني شعرت بالصدمة عندما وجدت أحدهم في هذا المكان البعيد جداً عن المنزل».

لم يرغب رافاييل في الحقيقة بجعل سرّ تواجده هنا معروفاً من قبل الجميع، فهو لا يريد التأثير على مجرى الأمور في الحفلة، لكنه في الوقت نفسه لا يود أن يشعر بأنه مرغم على المشاركة في اللهو والمرح. إن فكرته عن المرح مختلفة تماماً، فهو يحب تناول العشاء مع الأصدقاء، وارتياد نوادي الجاز الحميمة برفقة النساء اللواتي ينسجمن مع طريقته في التفكير.

- إذاً... إن لم تكن دخيلاً، فمن تكون؟

شعر رافاييل برغبة كبيرة في أن يعلم المرأة من يكون فعلاً قائلاً: أنا

ببساطة أملك الشركة التي تعملين لديها. لكنه لم يفعل!

لم يفاجئه أن المرأة فشلت في التعرّف إليه. توقع أن تكون على الأرجح أحد أولئك «الجنود المجهولين»، وهي تعمل بعيداً عن الأنظار في وظيفة ليست بذات أهمية.

اختار رافاييل أن يشرف على سير الأمور في الشركة من نيويورك، لذا نادراً ما كان يقصد لندن. لكنه استنتج من لهجة هذه المرأة بأنها حتماً إحدى موظفات الشركة في لندن.

ردّ عليها مرتجلاً: «أنا... البستاني».

- وهل تقيم في هذا المكان؟

- وأين تتوقعين أن أسكن؟

- في منزل صغير يقع على ملكية عادية في مكان قريب من هنا... مثل أيّ بستاني عادي...

- في حال فاتك أن تلاحظي الأمر، فهذه ليست حديقة صغيرة عادية. أنا أعمل بدوام كامل، لذا أنا أسكن على هذه الأراضي.

- ويأتي فريق عملك إلى هنا صباح كل يوم لجزّ مروج العشب...

استنتجت آيمي، وقد بدا هذا الأمر منطقياً بالنسبة إليها، فهي لم تستطع تخيله وهو يدفع بنفسه آلة جزّ العشب. لم يبدُ رافاييل من هذا الصنف الذي يقوم بالأعمال الوضيعة، وعلى الرغم من الجسد المتناسق الذي يتمتع به، شكت آيمي أن تتوفر لديه القوة العضلية الكافية للقيام بذلك.

بالطبع، لا! إنه حتماً من الأشخاص الذين يصدرون الأوامر، بل ممن يستمتعون بإصدارها لمن هو أدنى منه.

- لا بد أنك تتحكم بالعمال بواسطة السوط المخصص للجلد.

قالتها آيمي بنبرة صوت مرحة، لكن بالطبع رفض رافاييل أن يطلق أية ابتسامة، ما حثّ آيمي فوراً على التساؤل إن كان عدم التمتع بحسّ الفكاهة جزءاً من مواصفات عمله.

تحب آيمي الأشخاص الذين يتمتعون بمزاج مرح. إنها تنتمي إلى عائلة

كبيرة مؤلفة من ستة أولاد، وهي لم تختبر بجدية مبدأ الخصوصية، كغالبية الأطفال الذين ينتمون إلى أسر كبيرة. لذلك هي تحب المشاركة بالمزاح مع الآخرين، وتضحك بسهولة لأنها تهوى الاستمتاع بوقتها. لذلك فإن حب جيمس الكبير للهو هو أحد الأمور العديدة التي تجذبها نحوه. أما هذا الرجل....

- هل أنت دائماً بهذا... الوجوم؟

شعر رافاييل أنه فقد قدرته على الكلام مؤقتاً، فهو لم يكن معتاداً على أن يوجه إليه حديثٌ كهذا.

تابعت آيمي بمرح بعد صمت وجيز: «ما أقصده هو... ما السبب الذي يدعوك إلى العبوس؟ فأنت تقيم في مكان مدهش، ولا بد أن رئيسك يدفع لك راتباً جيداً. كما أراهن على أنك تمتلك أسباباً أخرى عديدة لتبتهج بالإضافة إلى المنزل».

- أسباب ابتهاج؟!

- بالطبع!

قامت آيمي بتعداد بعض تلك الأسباب على أناملها واحدة تلو أخرى، متابعة: «سيارة مخبأة في مرآب قريب من هنا.. وأتوقع على الأرجح أنها ليست سيارة قديمة. مخطط لمعاشٍ تقاعدي، ومكافآت في نهاية كل سنة... هل أنا محقة؟».

وما لبثت أن قالت بنبرة منتصرة: «يمكنني أن أستنتج من صمتك أنني محقة. كم أنت محظوظ!».

لم يشأ رافاييل أن ينجرّ في حديث مع شقراء مجهولة كثيرة الكلام، ففتح فمه ليقول لها بأدب وحزم بأنه آن الأوان لكي تنصرف، لكنه سمع نفسه يطرح هذا السؤال: «لمَ تقولين هذا؟».

أطلقت آيمي باتجاهه ابتسامة عريضة معدية، وقالت: «لأنني أقوم بعمل مشابه لعملك نوعاً ما، وحتماً أنا لا أنال المكافآت العظيمة نفسها التي تحصل عليها أنت».

- هل أنت... بستانية؟

- بل أعمل في تقديم الطعام.

- وهل تقديم الطعام مشابه لعمل البستاني؟

- حسناً! كلانا يعمل بيديه بشكل خلاّق... لذا، نعم... إلى حد بعيد. ألا توافق؟

- لا يمكنني إن أقول إن هنالك أي أمر خلاّق في عمل البستاني.

نظرت آيمي إلى رافاييل متفاجئة، وقد صعقتها مجدداً القوة المنبعثة من بنيته الجسدية، وسألته متعجبة: «إذاً لم تقوم بهذا العمل؟».

هزّ رافاييل كتفيه بنفاد صبر، ثم مرر أنامله خلال شعره الأسود، وقال: «اسمعي! لقد عاملتك بتسامح فسمحت لك بالدخول لتعلمي لما أنا هنا، والآن حان الوقت كي ترحلي، سوف أشعر بالامتنان إذا أبقيت أمر وجودي هنا لنفسك فقط».

- لأن...؟

- لأنني لا أرغب في أن يزعجني الضيوف الموجودين في منزل جيمس، أثناء تأديتي لعملي.

- أنت تنادي رئيسك باسمه الصغير... همم...!

فكرت آيمي بالأمر لبضع ثوانٍ، ثم رقت ملامح وجهها، وقالت: «لا أستغرب ذلك».

عبس رافاييل وقال: «ما هو الأمر غير المستغرب؟ كلا. بل انسي أنني سألتك ذلك. استمتعي بوقتك هنا... أنا متأكد أنك ستفعلين، فهو مكان جميل جداً. هنالك الكثير لتقومي باستكشافه إذا ما قررت مغادرة المنزل وبركة السباحة».

بدأ رافاييل يسير متجهاً نحو الباب من غير أن يترك لها فرصة لمتابعة ثرثرتها العديمة الرحمة. لكن آيمي قالت وهي تمد يدها نحوه: «هل تدرك أننا لم نتعرف على اسمي بعضنا البعض: أنا آيمي».

جذب رافاييل الباب ففتحه، ووقف متراجعاً إلى الخلف مبقياً يده

الأخرى في جيب بنطلونه القصير العاجي اللون، ثم قال: «لِمَ يجب أن نتعرف على بعضنا؟».

رفعت آيمي رأسها لتتمكن من تثبيت نظرة ثاقبة على رافاييل، ثم قالت: «يا له من تصرف فظ!».

- ما هو الأمر الشديد الفظاظة؟ أتعلمين؟ أنا لست شخصاً مثيراً للاهتمام، في مطلق الأحوال».

هبّت في الخارج نسمة هواء لطيفة رقيقة، رفعت شعر آيمي المتموج الأشقر الأخاذ، فجعلته يتراقص بسحر يسلب الألباب.

- أنا لا آبه سواء كنت مثيراً للاهتمام أم لا! لكنني سأخبرك أمراً على كل حال: من الفظاظة أن تنظر إلى أحدهم كأنه مصابٌ بمرضٍ معدٍ، فيما هذا الشخص لا يفعل شيئاً سوى محاولة التعريف عن نفسه. إذا كنت لا ترغب بإطلاعي على اسمك، فلا بأس بذلك. الأمر لا يخصني، ولن أتعذب بسبب...

- رافاييل.

- عفواً؟

- رافاييل! اسمي هو رافاييل قايفس.

قال رافاييل ذلك مادّاً يده لآيمي. وما إن التقطتها حتى شعرت برعشة غريبة تخرق جسدها. عندئذٍ خمد انفعال آيمي بنفس السرعة التي تصاعد فيها، فهي لا تستطيع أن تتمسك بمشاعر الغضب لوقت طويل. قالت: «أنا آيمي. رافاييل... اسم غير اعتيادي... هل هو... ماذا؟ إيطالي؟».

قال رافاييل بسرعة: «إسباني. هل ستتمكنين من إيجاد طريق العودة إلى المنزل؟».

بحثت آيمي في جيبها، ثم سحبت رباطاً مطاطياً وشدّت شعرها بمهارة إلى الخلف على شكل ذيل الفرس، ثم سألت رافاييل: «آه! نعم. كيف توصل إسباني للعمل في أميركا؟».

- ابتاعي لنفسك كتاب تاريخ سميك ليرشدك، ثم اقرأيه بسرعة،

www.elromancia.com

وستكتشفين كيف تمكنا نحن الإسبان من إيجاد سبيلنا إلى هنا. والآن.. انطلقي عائدة.

ارتاح رافاييل عندما فهمت آيمي تلميحه، فراقبها لبضع لحظات وهي تنطلق عائدة. بعدئذٍ توقفت، ثم ألقت نظرة من حولها، ثم انطلقت من جديد، لكن هذه المرة في اتجاه مختلف.

إن الأراضي التابعة للمنزل واسعة جداً، فمروج العشب الخضراء مزينة بتلال من الحشائش والأشجار الكثيفة، وهنالك أيضاً بحيرة صغيرة وشلال ماء بين حدائق غناء ذات ألوان زاهية. عندما يتعرف الشخص جيداً على أراضي الملكية يسهل عليه التجول وإيجاد سبيله في أرجائها، لكنها قد تحيّر المبتدىء خصوصاً في العتمة.

أطلق رافاييل تنهيدة عميقة تنم عن نفاد الصبر، فيما بحث عن المفتاح، وصفع الباب خلفه، قبل أن يلحق بآيمي التي غيّرت اتجاهها للمرة الرابعة، بعد أن فشلت في تحديد طريق العودة الصحيح.

ما هي إلا لحظات حتى لفّ يده حول ذراعها، فأرشدها نحو الاتجاه المعاكس قائلاً: «يا إلهي، أيتها المرأة! أين إحساسك بالاتجاهات؟».

- كنت سأجد طريقي في آخر المطاف! هل تمانع في إفلات ذراعي؟ فأنت لست شرطياً، وأنا لست قيد التوقيف.

- أنا فقط أريد التأكد من إخراجك بعيداً عن ممتلكاتي!

- ممتلكاتك؟ هذا قول قوي باعتبار أنك مجرد بستاني هنا! أعلم أن الحدائق غير اعتيادية بضخامتها لذا لا بد أنك بستاني غير اعتيادي مهم جداً، لكن هاي! أنت ما زلت مجرد بستاني!

تذمر رافاييل مغمغماً تحت أنفاسه: «ألا تسكتين أبداً؟».

- وأنت... ألا تتصرف بأدب أبداً؟

كانت يد رافاييل ما تزال ملتفة حول ذراع آيمي كالملزمة الحديدية، فيما كفّت آيمي عن محاولة نفضها بعيداً عنها. وتابعت: «ليس الذنب ذنبي إن كانت هذه الأراضي كبيرة جداً! حسناً! في الواقع، إنه ذنبي نوعاً ما.

أفترض أنه كان يجدر بي البقاء مكاني في المنزل كالآخرين».

- نعم، كان بإمكانك ذلك. لِمَ لم تفعلي؟

بدت آيمي هزيلة جداً، وشعر رافاييل أن ذراعها هشّة جداً تحت يده. فكر أنه لو اضطر إلى حملها فهي خفيفة كالريشة، هذه الفكرة جعلته يفلت ذراعها ويدفع بيديه إلى جيبي بنطلونه.

هزّت آيمي كتفيها وقالت: «كل ما في الأمر أنني شعرت بالارهاق. أنا في العادة مستعدة لحضور أية حفلة، لكنني رغبت بقضاء بعض الوقت بمفردي».

كلمات آيمي أثارت اهتمامه فسألها: «هل كانت هنالك حفلة حينما رحلت؟ أيّ نوع من الحفلات؟».

رفعت آيمي نظرها باتجاهه مدهوشة، ثم انفجرت بالضحك، وقالت: «بالطبع! لم تبدأ الحفلة بعد يا سيد بستاني! ما عنيته هو أنني بعد التعارف الذي جرى خلال حفل الكوكتيل، قررت أن القيام بنزهة صغيرة إلى الحديقة سوف ينشطني! الجميع هناك يتصرفون بشكل متحضّر تماماً، وأحواض الزهور كلها ما تزال سالمة، إن كان هذا ما يقلقك».

- بالطبع لست قلقاً بشأن أحواض الزهور اللعينة!

- إذاً، أنت لا تأخذ عملك على محمل الجد كما يفترض بك!

وبخته آيمي ممازحة لتغيظه، وتابعت: «على كل حال، لِمَ قد تهتم بحق السماء إن كان جيمس يقيم حفلة في المنزل أم لا؟ فالموضوع ليس حقاً من شأنك، هل هو كذلك؟».

- إذا حدقت جيداً في ذلك الاتجاه، ستتمكنين من رؤية أضواء المنزل. اتبعيها!

- أتعني أنك لن تتصرف كرجل نبيل وتوصلني إلى الباب الأمامي؟ وقبل أن تبدأ بالحملقة بفظاظة في وجهي، هذه مجرد مزحة. ألا تشعر بالوحدة أبداً؟

- عفواً؟

- ألا تشعر بالوحدة أبداً؟ أنت تعلم... إنك عالق هنا بمفردك منذ مطلع الفجر حتى المساء...؟

- ما الذي يجعلك تظنين بأنني عالق هنا بمفردي؟

استطاعت آيمي أن تشعر باللون الأحمر يطوف على وجنتيها فتزدادان احمراراً وحماوة، فيما حاولت جاهدة إيجاد ردّ رزين ملائم. في آخر المطاف تلعثمت وسعلت لتنقّي حلقها، فقالت متأتئة: «حسناً! كل ما في الأمر هو أنك بالغت في ردّة فعلك حيال فكرة الاحتفال، لذا ظننت أنك ربما...».

- على الأرجح أنني رجلٌ مملٌ تماماً، لا أستمتع إلاّ بتشذيب شجيرات الورد، فيما أسكب احتقاري وازدرائي على الأشخاص الذين يمضون وقتاً مرحاً. أليس كذلك؟

- كلا، بالطبع لا!

- أنا أعرف كيف أمتّع نفسي يا آيمي الصغيرة.

أرسل قول رافاييل هذا ارتعاشات في جسد آيمي، وسرت تلك الارتعاشات صعوداً ونزولاً على امتداد عمودها الفقري.

- ببساطة، يصادف أنني لست هاوي حفلات. ولا يغريني الصخب والسهر حتى الصباح.

شعرت آيمي بالسرور لأنها عادت إلى الاتجاه الصائب لرأيها برافاييل؛ أي الرجل المغرور الممل. أعلمتها ملامح وجه رافاييل بعبارات غير مشكوك فيها أنه لا يأبه البتة برأيها فيه على وجه الخصوص. لكن يبدو أن آيمي لم تكن قادرة على ترك الأمر، فسواء كان رجلاً مغروراً مملاً أم لا، هنالك شيء ما ساحر بخصوصه يثير فضولها.

اندفعت قائلة: «إنك على الأرجح لم تقصد أبداً حفلة جيدة بالفعل. لا يقتصر الأمر في الحفلات على سماع الموسيقى الصاخبة، بل يتعلق بالرفقة اللطيفة والموسيقى الجيدة مع الرقص الوفير».

ابتسمت آيمي ابتسامة عريضة باتجاهه، وقد أضحكتها تعابير وجهه التي

تنم عن المقت والنفور، فتابعت تسأله: «أي جزء من هذا الأمر تجده رديئاً؟».

أجابها رافاييل ببرود: «الجزء الذي تفوح منه رائحة المبالغة. ذلك هو سبب كرهي للحفلات. لكن بما أنك تحبين الحفلات، فأنا واثق بأنك لا تأبهين كثيراً بالخصوصية، بخلافي أنا. لذا سأقدر صنيعك إذا احترمت رأيي وبقيت بعيدة عن ممتلكاتي. أتظنين أنه يمكنك تفهم ذلك؟».

شعرت آيمي فجأة بوخز دموع تتجمع في أعماق عينيها، فأومأت وقالت بصوتٍ خفيض: «أنا آسفة!».

أومأ إيماءة جافة مقتضبة، ثم استدار مبتعداً. لقد أضاع ما يكفي من الوقت على هذه المحادثة في حين تنتظره ملايين الأشياء العالقة التي يجب عليه إنجازها.

عندما استدار رافاييل في آخر المطاف ليتثبت من أن آيمي تسير في الاتجاه الصحيح، كانت هذه الأخيرة قد اختفت بين الأشجار.

٢ ـ لقاء منتصف الليل

استيقظت آيمي صباح اليوم التالي، واندفعت نحو الطابق السفلي.

استيقظ بعض الأشخاص الآخرين أيضاً، ونزلوا إلى غرفة الطعام التي تم تحضيرها وترتيبها للفطور على شكل مقصف مفتوح، بحيث ينتقي كل شخص ما يرغب به من الأطعمة المعروضة ليضعها في طبقه.

عُلّقت على أحد الجدران لوحة كبيرة تشير إلى النشاطات التي أعدّت لهم لذلك اليوم، في حال رغب الضيوف أن يغتنموا الفرصة للاستفادة منها.

ربّتت كلير - الصديقة الأقرب إلى آيمي في هذا المنزل - على كتفها، وعلقت بشيء من السخرية على أسلوب عيش النصف الآخر الغني من المجتمع، مرفقة تعليقها بقهقهة مرحة، ثم قالت لصديقتها إن عليهما أن تشمرا عن سواعدهما لتناول الفطور، فهذه الرفاهية لن تتوفر لهما مرة أخرى في وقت قريب. من الجيد أنهما غير مضطرتين إلى تحضير الطعام بنفسيهما، بل مجرد تناوله.

- اللعنة! أنت محقة.

ضحكت آيمي لاقتراح صديقتها. وتساءلت إلى أي نشاط سينضم جيمس! هو لم يكن على مرأى منهم الآن، أما حين يظهر أمامهم بالفعل، فهي تنوي أن تجعله يلاحظها بطريقة ما.

لطالما بقيت آيمي حتى الآن مجرد طاهية بارعة تجيد أداء وظيفتها، فهي دوماً ترتدي زي العمل الأبيض الممل مع القبّعة الكبيرة الخاصة بالطهاة. ولا شك أن هذا الزي لا يساعد في إظهار جاذبيتها. ومع أنها تدرك أنها

ليست جذابة كإحدى عارضات الأزياء اللواتي تتصدر صورهن المجلات، لكنها تتمتع بشخصية ودودة، كما أن العديد من الأشخاص أخبروها بأنها لطيفة حقاً. حسناً! ربما تنجح تلك الإنسانة اللطيفة في جذب جيمس.

ربطت آيمي شعرها إلى الخلف في ضفيرتين تصلان إلى أبعد من كتفيها. إنها تسريحة شعر عملية وفعالة في جذب الجنس الآخر، كما أنها نافعة جداً أثناء الطقس الحار. ارتدت قميصاً خفيفة من اللونين الأبيض والأزرق، مع بنطلون جينز أزرق اللون، فبدت ملابسها ملائمة وعصرية، وهي متناسبة تماماً مع الحذاء الفضي المسطح الكعبين، المرصع بالخرز. لقد اختارت هذا الحذاء بعناية، فهي تستطيع أن تخلعه بسهولة إذا ما اضطرت لذلك، كما يمكنها أن تسير مئات الأميال من غير أن تشعر بالضيق.

- مع أي مجموعة تظنين بأنه سيكون؟

همست آيمي لكلير حالما جلستا إلى الطاولة، ثم تابعت القول: «ارتديت هذه الثياب خصيصاً لتلائم الدور الذي أنوي القيام به لإغرائه».

سألتها كلير وهي تبتسم ابتسامة عريضة: «أيّ دور؟».

كلير هي فتاة بدينة سمراء، على العكس تماماً من آيمي النحيلة الشقراء. لكنهما انسجمتا تماماً حالما تعرفتا على بعضهما منذ سنتين، وما زالتا حتى الآن أفضل صديقتين.

- دور الفتاة غير المختبئة خلف بذلة العمل البيضاء مع الحذاء الأبيض والقبعة التي تغطي الشعر! أتظنين بأنه سيلاحظني؟

ردّت كلير بحماسة لتدعم رفيقتها تلقائياً: «إنه دائماً يلاحظك».

- نعم، حسناً! إنه يثرثر ويضحك معي، لكنه يقوم بذلك مع الجميع.

التقطت آيمي بشوكتها قطعة من الأناناس الطازج وتفحصتها ثم وضعتها فجأة في فمها، وقالت: «ليتني أعرف مع أي مجموعة هو».

- استمتعي فقط بوقتك يا آيمي، وانسي أمر جيمس. سوف يكون موجوداً خلال حفل الشواء الليلة على كل حال!

تبيّن لآيمي لاحقاً أن الجينز الضيق مع القميص الخفيفة ذهبا سدى، إذ

لم يرَ جيمس ما ارتدته من ملابس. فقد ذهب لاصطياد السمك برفقة بعض الشبان الذين يعملون في قسم التسويق. بالإضافة إلى ذلك، شكّلت ثيابها عائقاً حقيقياً لها عندما ذهبت في رحلة الزوارق الطويلة.

فكّرت، ما الذي تفعله بحق السماء؟ إنها في الرابعة والعشرين من عمرها، وها هي ترتكب الخطيئة التي لا تغتفر. إنها ترمي بنفسها على رجل، واليأس يتآكلها كما لو كانت عانساً معمّرة تخشى من البقاء وحيدة! إنه تصرّف مضحك، وهي حقاً سخيفة!

أوشكت آيمي أن تصدق أنها مسيطرة تماماً على مشاعرها إلى أن لمحت جيمس لاحقاً في تلك الليلة. كان يقف في الحديقة، يحمل كوب عصير في إحدى يديه، ويتبادل أطراف الحديث مع مجموعة صغيرة من الأشخاص الواقفين حوله. شعرت بقلبها يخفق مرفرفاً، فاستنشقت نفساً عميقاً وسارت متجهة نحوه.

لاحظ جيمس أن آيمي تشير ملوحة بيدها نحوه، فتردد لبضع لحظات، وما لبث أن انفصل عن المجموعة واتجه إلى حيث تقف. في الواقع، بالكاد صدّقت آيمي ما تراه عيناها، فاستدارت إلى الخلف لتتأكد أنه لا يتجه نحو أيّ شخص آخر يقف خلفها.

ابتسم جيمس لها، فبادلته ابتسامته بسرور واضح.

- لم أتعرف عليك بهذه الثياب!

قال جيمس ذلك وهو ممسك بيدها، ثم تراجع إلى الوراء ليجعلها تدور حول نفسها دورة ارتجالية، أطلق من بعدها صفيراً خافتاً ينم عن الإعجاب.

- هل هذا أمر سيء أم جيد؟

سألته ذلك وهي تشعر بتورد خديها. لم تستطع آيمي أن تجعل صوتها يبدو أبح كما رغبت، لكنها رمقته بأفضل نظرة غزل ومداعبة توفرت لديها. ترافق ذلك مع حركة من رموش عينيها وابتسامة خجولة.

ضحك جيمس وقال: «أمر جيد جداً! التنورة تلائمك. إنها تلائمك

أكثر من زي الطهاة».

- همم... أحقاً؟

شعرت آيمي بالرضى الآن لأنها تكبدت عناء ارتداء تنورتها الواسعة ذات اللونين الأحمر والأسود. لقد تعمدت أن تلبس ثياباً أنيقة على الرغم من أن حفل الشواء أقيم في الحديقة، ولم تكن المبالغة في التأنق بالهندام مطلوبة.

- أخبريني ما الذي قمت به اليوم؟

أطلعته آيمي على ما فعلته خلال النهار، متخطية تفاصيل الأحداث المشؤومة التي حصلت معها، منها أن بنطلون الجينز الذي ارتدته تبلل بالماء وصولاً حتى فخذيها، إذ كان عليها أن تلبس بنطلوناً قصيراً كما فعل الآخرون، ناهيك عن أن حذائها الأنيق المرصّع بالخرز قد تبلل كلياً، وهو الآن موضوع على حافة النافذة في غرفتها ليجف، ومن المرجح أنه لن يعود إلى روعته السابقة من جديد. بدا جيمس مستمتعاً إلى حد بعيد، وهو يصغي إلى سردها لأحداث نهارها.

أما الأمر الأهم الذي تعمدت آيمي عدم إطلاع جيمس عليه، هو مصادفتها للبستاني والتعرف إليه. لمَ عساها تفسد هذه اللحظة الجميلة؟ صحيح أنها شعرت ببعض الكآبة منذ قليل، لكنها عادت بسرعة إلى طبيعتها المرحة. فهي الآن تنعم بفرصة قد لا تختبرها مجدداً خلال حياتها، أي أن تكون محور اهتمام جيمس. بعد قليل استشعرت آيمي أن جيمس أصبح مستعداً لمتابعة طريقه والتجوّل بين الضيوف، فراقبت رحيله بتوق وكآبة، فيما انطلق هو عائداً إلى رفاقه.

للحظات، تبادر إلى ذهن آيمي أن تلك الثواني المعدودة التي أمضتها مع جيمس، لا تقدّر بثمن. لقد انتبه لوجودها، ووجّه إليها المديح والإطراء، فمنحها السعادة ولو لوقت قصير.

في وقت لاحق من المساء، بدأ الناس يتناولون الطعام، ثم تحركت الحشود المجتمعة وأخذ الجميع يرقصون بحماسة. أخبرت آيمي صديقتها

كلير: «أظن أنني أحرز تقدماً».

كان جيمس قد توارى عن الأنظار، من الصعب معرفة مكانه، فالظلام حالك كما أن عدداً كبيراً من الناس ينتشرون في كل مكان.

- سألني عن رأيي بالطعام.

- وما الذي قلته؟

- أخبرته أنه لا يضاهي مطلقاً جودة الطعام الذي أعده أنا.

- خطوة سيئة. من المحتمل أن يقوم الآن بطرد موظفيه الذين يقومون بتقديم الطعام، ثم يربطك أنت في الداخل لتقومي بالطهو مكانهم.

قهقهت الفتاتان مستمتعتين بكل ما هو جديد في هذا الحفل. خصوصاً أنهما متواجدتان على شواطىء غير مألوفة في بلد بعيد عن موطنهما، في محيط قد لا تتسنى لهما فرصة اختباره مجدداً.

دقّت الساعة الحادية عشرة ليلاً، لكن أجواء الاحتفال كانت مستمرة، ولم يكن أحد في الواقع قد أوى إلى فراشه بعد، حسب ما رأت آيمي، وهي لا تنوي أن تكون أول من يفعل ذلك. لا بد أن المدعوين الأميركيين هم أول من سيغادر، فهم إمّا يقيمون في فندق محلي، أو يعودون إلى منازلهم الخاصة. وعندما يقلّ الزحام، قد تتسنى لها فرصة أخرى لتسامر جيمس، علّه يراها تحت أضواء مختلفة، ربما خافتة...!

تذكرت مجدداً البستاني ذا المبادىء العالية والأحكام المستقيمة المتزمتة. لكن مع هذا... فكرت أن من الممتع أن تختلط بالناس في الحفلة، وسرها أن يطلب الكثيرون مراقصتها. مع مرور الوقت خلال السهرة، أصبحت مشاعرها الجياشة بالعاطفة أكثر وضوحاً. إن انجذابها القوي إلى رئيسها، هو أقدم قصة في التاريخ وأشدها حزناً. لو اكتشف أشقاؤها الثلاثة هذا الموضوع، فهي لا تدري من منهم قد يموت ضحكاً وسخرية قبل الآخر. كما أنها لا تظن أن شقيقاتها سيكنّ متعاطفات معها أيضاً.

ما الذي تفعله الآن بحق السماء؟ إنها تنظر حولها بكل الاتجاهات محاولة إيجاد رجل لا يعطيها الوقت والاهتمام الكافيين.

هبطت معنوياتها مجدداً لدى تفكيرها على هذا النحو. هل سيذهب رداؤها الجميل سدى هذه المرة أيضاً، من غير أن يحقق الهدف المطلوب؟

وضعت كوبها جانباً ثم تسللت بعيداً عن الحفلة وعن المنزل، بعد أن انتابتها تلك الأفكار المتشائمة. ما إن ابتعدت عن الحشود، صدمها إدراكها للحقيقة الصارخة وهي أنها لا تقضي وقتاً ممتعاً كما يفترض بها، لذا بدأت تشعر بالاحباط أكثر فأكثر.

سارت بخطى ثابتة نحو المنطقة المليئة بالأشجار مبتعدة عن ضجيج الحفلة. كان الوقت متأخراً، لكن الطقس لم يكن بارداً. راح نسيم الليل المنعش يتلاعب بشعرها فجعله يبدو كزغب غريب الشكل.

بالفعل بدأت معنويات آيمي ترتفع مع تقدمها بين الأشجار. لفتت انتباهها حركة في مكان ما خلف مجموعة من الشجيرات الباسقة. ما إن ركزت نظراتها حتى لمحت مكاناً معداً للجلوس بين تلك الشجيرات، وهو مكان منسّق بعناية حتى بدا كأنه جزءٌ من المنظر الطبيعي. حيث وضعت مقاعد خشبية صغيرة مصنوعة من جذوع الأشجار. لم تستطع مقاومة فضولها لمعرفة مصدر الحركة هناك، وتمكنت في آخر المطاف من رؤية شخصين يجلسان متعانقين على المقعد الخشبي. لم يكن الظلام دامساً، فقد ألقى ضوء القمر نوراً باهتاً عليهما، ما سمح لها برؤيتهما بوضوح ما إن ابتعد الاثنان عن بعضهما لبضع لحظات. لم تتعرف على المرأة ذات الشعر الطويل الأملس، أما الرجل... حسناً! الرجل...

شعرت آيمي بموجة من الغثيان تتصاعد نحو حلقها، فتراجعت بضع خطوات إلى الوراء، ثم وقفت في مكانها جامدة تماماً، فيما فرقع غصنٌ صغيرٌ تحت قدمها. لكن ذينك العشيقين كانا غارقين في حضني بعضهما، فلم يسمعا أيّ صوت. في الواقع، كان من الممكن أن يقترب منهما قطار هادر، من غير أن تسمعه آذانهما الصماء في تلك اللحظة بالذات.

حاولت جاهدة أن تبقى هادئة، لكن بعد مرور خمس دقائق انتابتها حاجة ملحّة لأن تبتعد قدر الإمكان عن جيمس. لقد هالها منظره وهو

يحتضن بذراعيه امرأة أخرى وهما يتبادلان العناق، لذا لم تعد آيمي تأبه البتة لمدى الضجة التي أحدثتها وهي تهرب.

بعد مرور دقائق لم تعد قادرة على رؤية المنزل ولا حتى سماع أصداء الموسيقى. أجبرت نفسها على التوقف عن الركض لتلتقط أنفاسها وتسيطر على ذاتها، حسناً! ها هي الوقائع: إن الرجل الذي تشعر بالانجذاب المجنون نحوه، متورط مع امرأة أخرى، بالإضافة إلى ذلك فهي قد ضلّت طريقها وتاهت.

عليها أن تؤجل المسألة الأولى، فتبكي خسارتها في وقت لاحق، أمّا المسألة الثانية فعليها حلّها الآن، وإلاّ فستضطر إلى مواجهة خطر قضاء الليلة في الخارج على هذه الملكية الواسعة.

استنشقت آيمي نفساً عميقاً، وبجرأة نموذجية أقدمت على تطبيق ما يقترحه أي دليل جيد للفتيات في أوقات صعبة كهذه. بحثت عن شجرة عالية، وهو أمرٌ غير مستصعب. في الواقع كل الأشجار بدت مرتفعة جداً، بل هائلة الارتفاع بالنسبة إلى شخصٍ قصيرٍ إلى حد ما. استنشقت نفساً عميقاً من جديد، ثم خلعت صندالها ذا الربائط وقد بدا لها الآن عديم الجدوى. ثم بدأت بتسلّق الشجرة.

مرة أخرى تمنّت لو أنها لبست ثياباً ملائمة أكثر من تلك التي ترتديها. يبدو أنها تخطىء دائماً في ما يخص اختيار اللباس المناسب!

وصلت آيمي إلى ارتفاع كافٍ ليسبب لها الذعر، في تلك اللحظة تخلّت عن حذرها وبدأت تصرخ بأعلى صوتها.

عندما استجمعت جرأتها من جديد لتلقي نظرة نحو الأسفل، شاهدت البستاني المتزمت يحدق إلى الأعلى باتجاهها. بالطبع، إنه البستاني!

- أنا عالقة هنا!

- لِمَ أنت في أعلى الشجرة؟

شعر رافاييل بتصلب في شفتيه، ذلك الشعر الأشقر المتشابك يعلن عن صاحبته بوضوح لا لبس فيه.

- دعك من السبب الآن. عليك أن تنزلي من هنا!

- آسف! لكنني لا أسمعك تستعملين تلك الكلمة الصغيرة المميزة.

- ليس الوقت مناسباً للألاعيب الآن!

- يتوفر الوقت دوماً لتكوني مؤدبة.

- أنت... لا يحق لك قول ذلك، نظراً لفظاظتك عندما التقينا في المرة السابقة!

صرخت آيمي نزولاً باتجاه رافاييل، ثم شعرت أن قبضتها على غصن الشجرة بدأت تتقلقل، وأنها تكاد تفقد ثباتها، فأمرته أن يذهب لإحضار سلم في الحال وختمت طلبها بقولها: «أرجوك!».

- ليس هنالك سلم في الكوخ. تمسّكي جيداً، أنا سأنزلك!

أغمضت آيمي عينيها، وهي تنتظر رافاييل ليقوم بتسلق الشجرة، فيما قام هو بذلك بخفة ومهارة بالغتين. طيلة حياتها لم تشعر أنها أكثر حمقاً وبلاهة مما هي عليه الآن. بدت تنورتها الواسعة رائعة أثناء الحفلة، لكنها ليست كذلك عندما يتعلق الأمر بالوقوف في أعلى الشجرة.

الله وحده يعلم كيف ناور رافاييل ليعينها على النزول. فقد كان يمسك بها عند الضرورة، إلى أن حملها ووضعها برفق على الأرض. عندئذٍ قفز إلى الأسفل فهبط بسهولة إلى جانبها. نفضت آيمي تنورتها نزولاً متجنبة النظر إليه، ثم قالت: «شكراً لك».

- إذاً. هل تتكرمين بإطلاعي على ما كنت تفعلينه في أعلى الشجرة عند الساعة...

نظر رافاييل إلى ساعة معصمه، وتابع: «... الثانية عشرة والنصف صباحاً؟».

- ولِمَ أنت ما تزال مستيقظاً؟

- كنت أدبّر خطة للهجوم الذي سأشنه على الحشرات التي تخرّب شجيرات الورد. ما الذي تظنينه؟ سمعت أحدهم يصرخ كالمجنون، ففكّرت أن عليّ أن أتحقق من الأمر.

ألقى رافاييل نظرة جانبية إلى المرأة ذات الهيئة الفوضوية الواقفة إلى جانبه، فشعر بالذهول تماماً جرّاء تصرفها العشوائي هذا. حاول أن يتصوّر إحدى صديقاته الحميمات تتسلق شجرة لكنه فشل، فلا يمكن لامرأة مثقفة رزينة وجديرة بالاحترام أن تقوم بذلك.

- أنت لم تجيبي عن سؤالي بعد. ونظراً لأنك جعلتني أسرع إلى هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل، أظن أنك تدينين لي بتفسير. ماذا كنت تفعلين بحق السماء في أعلى الشجرة؟

وجهت آيمي إلى رافاييل أفضل نظرة دفاع عن النفس ممكنة لديها، ثم كتّفت ذراعيها، لكن الأمر لم ينجح، إذ لم تنطلِ عليه المحاولة. في آخر المطاف هزّت كتفيها وأشاحت بنظرها بعيداً عنه، ثم قالت: «آه! ما يجري عادة».

- وما هو...؟

- تتعرف الفتاة بشاب، فتشعر بالانجذاب نحوه.. ثم..

أخفضت بصرها لتنظر إلى تنورتها التي أصبحت الآن وسخة ومتجعدة، وتابعت: «... ترتدي ثياباً جديدة لتترك انطباعاً جيداً لدى الشاب، لتكتشف بعدئذٍ أن الشاب فرّ هارباً إلى الغابة لينفرد بفتاة أخرى».

- ومن جراء الاحباط تقرر تسلّق شجرة ما...!

تذكرت آيمي أن هذا الرجل بغيض، لكنها حملقت في وجهه، وطلبت منه أن يدلّها على الاتجاه الصحيح لتعود إلى المنزل، لكن صوتها بدا - حتى لها - كأنه أسطوانة مكسورة.

- يقع المنزل على مسافة بعيدة من هنا سيراً على الأقدام، هذا إذا مشيت على الدرب الصحيح، لذا فإنني حتماً لن أرسلك الآن لتعودي عبر الغابات العميقة المظلمة، فالله وحده يعلم أين قد تضلين.

استدار رافاييل على عقبيه وأخذ يمشي مبتعداً، فبدأت آيمي تتبعه مهرولة، وهي تجاهد للحاق بخطواته الواسعة، فيما طغى عليها شعور هو مزيج من الخيبة والاحباط والامتعاض.

صرخت به: «أرجوك! انتظر. هذا الصندال ليس مصمماً للركض السريع».

توقف رافاييل ثم استدار نحو آيمي وانتظرها لتلحق به. لا بد أن هذه المرأة فقدت صوابها! فكم من الأشخاص السليمي العقل يتسلقون الأشجار عند منتصف الليل في محاولة للتعامل مع قلوبهم المجروحة؟ بل في الواقع، كم من الأشخاص الراشدين يتسلقون الأشجار أصلاً؟ هو نفسه لم يتسلق أية شجرة مذ كان ولداً صغيراً.

- كان يجدر بك أن تفكري بذلك حين قررت القيام بنزهة طويلة على قدميك عبر أراضي الملكية.

أشار رافاييل إلى ذلك بنبرة صوت هادئة قد يستخدمها الشخص حين يتعامل مع قروي مغفّل.

ردّت آيمي ببرودة: «أنا لم أنوِ القيام بنزهة طويلة عبر أراضي الملكية، فقط كنت آخذ استراحة صغيرة في الخارج لأستنشق بعض الهواء المنعش».

- يبدو أنك تكثرين من المرات التي تقومين فيها بهذا الأمر، ألا تظنين ذلك؟ إنك تستنشقين الهواء المنعش فيما تقطعين مسافات شاسعة في الوقت نفسه؟

وصل كلاهما إلى منزل رافاييل، وتبين لها أنه في الواقع يقع على بعد مسافة قريبة، من حيث توقفت عن الركض. لو أنها تابعت الركض عوضاً عن تسلق الشجرة، لوصلت بأمان أمام عتبة بابه. لم يكن هذا الخيار الآخر ليعتبر مغرياً بالنسبة إليها، لكنه على الأقل سيبقي على تنورتها الثمينة سليمة. أما الآن فهي لا تصلح سوى للانضمام إلى حذائها الفضي المرصع بالخرز، في خزانة عظيمة للأغراض البالية.

- عليك أن تخلعي هذه الملابس عنك، فهي وسخة.

- أريد أن أعود إلى المنزل. فملابسي كلها هناك.

- أنا لن أوسلك إلى هناك، فقد أرهقتني بما يكفي.

- أعرف أن المسافة بعيدة نوعاً ما، لكن يمكنك أن توصلني بالسيارة

إلى المنزل، ألا تستطيع؟ أعني، لا بد أن لديك سيارة مركونة في مكان ما هنا.

فجأة شعرت آيمي أنها على وشك أن تفقد السيطرة على ذاتها. لذا لفت ذراعيها بحزم حول جسدها وحافظت على هدوئها كي لا تنفجر بالبكاء.

- سأحضّر لك المياه لتستحمي.

- أرجوك! أعدني إلى المنزل. أرجوك!

قال لها رافاييل من دون مقدمات: «أنت لست في حالة سليمة. بغض النظر عن حالة ملابسك، تبدين كأنك على وشك الانهيار، لذا يجب أن تستجمعي قواك. الآن، اجلسي. سأفتح المياه لملء حوض الاستحمام، وإلى أن يُملأ ساعد لك مشروباً ساخناً».

قبل أن تتمكن آيمي من إطلاق جولة أخرى من التوسلات ليعيدها إلى المنزل، كان رافاييل قد توجه إلى الطابق العلوي كي يفتح مياه حوض الاستحمام. أحضر منشفة نظيفة من الخزانة، وإحدى قمصانه التي ستضطر آيمي إلى ارتدائها سواء أحبت الأمر أم لا.

سوف يضع ملابسها في الغسّالة، لتكون جاهزة كي ترتديها في الصباح. بعد ذلك سوف يعيدها من حيث أتت، حيث ستتابع على الأرجح تخريب حياتها عبر الوقوع بغرام الرجال غير المناسبين.

عاد رافاييل من الطابق العلوي، فوجد آيمي جالسة على أرض غرفة الجلوس. بادرته ما إن لاقت عيناها عينيه المتسائلتين: «لم أشأ أن أوسخ مفروشاتك النظيفة الجميلة. أنا مثيرة للاشمئزاز ومقرفة».

- حسناً! الحمام في الطابق العلوي. اتركي ملابسك أمام الباب وأنا سأضعها في الغسالة. ستكون جاهزة بحلول الصباح.

ترددت آيمي، ووقفت ثم قالت: «لا أستطيع أن أمضي الليلة هنا».

- خذي حماماً، وسنناقش الأمر عندما تخرجين. تركت لك إحدى قمصاني لترتديها.

حسناً! ليس هنالك ما يمكن مناقشته. خرجت آيمي من الحمام بعد

مرور عشرين دقيقة، وهي تشعر بالانتعاش. لم تكن ترتدي سوى ملابسها الداخلية تحت قميصه القطنية التي وصلت إلى مستوى لائق من ساقيها. سوف يبدو الأمر مستغرباً بالنسبة لأي شخص ما يزال مستيقظاً، أن تعود إلى المنزل وهي لا ترتدي أكثر من قميصٍ قطنية تعود إلى رجل غريب. لكن إذا كان الحظ حليفها، فإن المكان سيكون ساكناً والجميع نائمين. ربما... باستثناء جيمس، الذي ما زال على الأرجح يتجول فرحاً برفقة صديقته تلك، في مكان ما من الغابة.

كان رافاييل ينتظرها في غرفة الجلوس، أشار إلى كوب من الشوكولا الساخنة أعدّه لها لتتناوله حالما رآها.

بدت آيمي غارقة في قميص رافاييل، فهي تتمتع بجسد نحيل تماماً. أثناء الاستحمام قامت بفرك بشرتها جيداً فأزالت عنها كل آثار المعركة، فعادت إليها نعومتها الحريرية ذات السمرة الذهبية الباهتة. بدا حاجباها داكني اللون على النقيض من شعرها المتمرد ذي اللون الأشقر، فتساءل رافاييل إن كان هذا التناقض غير العادي هو ما يعطي وجهها تلك الحيوية حتى أثناء صمتها.

- هل تشعرين بالتحسن؟

- ليس كثيراً. أشكرك على اهتمامك.

لفت آيمي ساقيها فجلست عليهما، ثم مدت يدها إلى الأمام وتناولت كوب الشوكولا، مرّ زمن طويل على آخر مرة تناولت فيها الشوكولا الساخنة. ذكرها هذا الأمر بطفولتها.

ظهر العبوس على وجه رافاييل وقد شعر ببعض الانزعاج بسبب ردّها العديم الحسّ على سؤاله الكامل التهذيب.

- إن ملابسك في الغسّالة.

أعلمها بذلك متحاشياً إظهار فضوله، وتابع: «لذا، أفترض أنني أستطيع أن أعيدك بالسيارة، لكنها مركونة على بعد مسافة من هنا، لذا نحتاج إلى السير على الأقدام لنصل إليها».

- لِمَ؟

- ماذا؟

- لِمَ سيارتك مركونة على بعد مسافة تتطلب السير على الأقدام؟ ألا يعرف رئيسك أنك قد ترغب بالخروج من حين إلى آخر؟

- من الأسهل أن أركنها خلف الشجيرات إلى جانب الطريق، بدلاً من قيادتها على مروج العشب الخضراء، أو من بين الأشجار. صممت الأراضي مع الأخذ بعين الاعتبار أن تتم المحافظة على جمالية المكان، لذا سواء صدّقت الأمر أم لا، فإن تخطيط الأرض بخط من الوحول الذي يشق طريقه عبر الحدائق الخضراء، ليس خياراً مبهجاً للنظر.

- ألا تكفّ أبداً عن السخرية؟

سحبت آيمي نفساً عميقاً مدركة أن رباطة جأشها حساسة وسريعة العطب، أما هذا البستاني فليس على الإطلاق متعاطفاً معها. رمقته جيداً بنظراتها.. جلس رافاييل منحنياً إلى الأمام مستنداً مرفقيه إلى ركبتيه، بحيث تدلّت يداه بخفّة بين ساقيه. بدت ثيابه مرتبة جداً بالنسبة إلى شخص تمّ جره بشكل غير متوقع خارج الفراش، فاستفاق من نومه العميق. كان يرتدي بنطلوناً قصيراً من اللون الكاكي وقميصاً قصيرة الكمين مع حذاء من لون الجلد.

سألته: «يبدو لي أنك لم تكن نائماً، أم أنني مخطئة؟ لا تقل لي إنك اضطررت إلى مغادرة سريرك بسبب صراخي، أم أن هذا ما حصل؟ في الواقع لا تبدو كشخص تمّ إيقاظه من نوم عميق».

- أنا كنت... أعمل، في الواقع...

- أكنت تعمل؟

ابتسمت آيمي ابتسامة عريضة، وقد نسيت صدمة هذا المساء لبضع دقائق. لاحظت الشعيرات السوداء التي تظهر في أعلى صدره، والتي تبدو من خلال قبة قميصه المفتوحة عند الرقبة، فأبعدت نظرها عنه بسرعة. لم تكن آيمي متأكدة تماماً، لما تراها تشعر بحضور هذا الرجل بقوة، لكنها كذلك فعلاً. تجاهلت اهتمامها هذا مذكّرة نفسها بغروره وتعجرفه

الواضحين، وهو أمر قد يغضب ويزعج أيّ إنسان. سألته وهي ما تزال تبتسم: «تعمل... على ماذا؟ لا! لا تقل لي... ذلك المخطط للتخلص من الحشرات في شجيرات الورد! لِمَ أخبرتني إذاً أنني أيقظتك من النوم؟ هل أردت أن تشعرني بالذنب مع كلّ ما أشعر به من تعاسة؟».

- هنالك غرفتا نوم في المنزل، لكن إحداهما غير مجهزة، لذا سأنام أنا فيها، ويمكنك أنت أن تُنامي في سريري.

- لا! أنا لن أنام في سريرك!

سألها رافاييل بضجر: «لِمَ لا؟ هيا بنا! اشربي ما تبقّى من الكوب، واصعدي إلى الأعلى».

تورّد خدّا آيمي خجلاً، فقد استعمل رافاييل نبرة الصوت تلك معها من قبل. في الواقع يبدو أنه اعتاد على مخاطبتها بهذه الطريقة منذ تعارفهما المشؤوم. إنها نبرة صوت شخص راشدٍ يخاطب طفلاً. فتساءلت إن كان هذا حقاً رأيه بها؟ أيشعر أنها طفلة واقعة في ورطة؟ هل هذا رأي جيمس أيضاً بها؟ أتراه لا يرى فيها أكثر من طفلة يتبادل المزاح معها؟

وضعت الكوب بهدوء على الطاولة، ثم وقفت من دون أن تنظر إليه، بانتظار أن يقودها نحو الطابق العلوي. أدركت في تلك اللحظة أنها فتاة تكثر الثرثرة وتطرح الكثير من الأسئلة وتضحك بصوت مرتفع جداً. قد يكون هذا الرجل متعجرفاً مغروراً، ويبقي الآخرين على مسافة بعيدة منهُ، لكن هذه منطقته هو، فإذا أراد منها أن تسكت، عليها أن تسكت.

أيحتمل أن جيمس أيضاً أراد منها أن تسكت بين الحين والآخر؟ ظنت آيمي أنه يهتم لها، لكن أتراه كان يتجاوب مع ثرثرتها فيما هو يشعر بالضجر، فما إن تدير ظهرها حتى يحرك عينيه بملل ويتطلّع نحو السقف؟

كادت آيمي تصطدم ببنية رافاييل الثابتة الضخمة حين توقف أمام باب غرفة نومه، إذ كانت تحدّق نحو الأرض وهي تتبعه.

اتكأ رافاييل على إطار الباب، وأخفض بصره ليحدق باتجاه آيمي. تشابكت عينا آيمي الزرقاوان مع نظرات عينيه العميقتين، اللذين يقارب

لونهما السواد، فشعرت بالدوار في تلك اللحظة، وقالت مرتعشة: «أنا بحاجة إلى الجلوس».

تنحّى رافاييل جانباً محرّكاً ذراعه باتجاه سريره، الذي بدا لآيمي مغرياً بشكل لا يصدق. فلتذهب إلى الجحيم مشاعر الحذر والحشمة.

بدا سرير رافاييل عابقاً برائحته الرجولية النظيفة، ما جعلها ترغب بإغماض عينيها لتأخذ نفساً عميقاً فتغرق في أريج عطره الساحر الغريب. لمَ عليها التظاهر بعكس ما هي عليه؟ فآيمي قد تربت وسط عائلة كبيرة، حيث اعتادت أن تنام في أسرّة صغيرة ضيقة، أو مشاركة السرير مع إخوتها وأخواتها. انزلقت تحت اللحاف المترف الناعم بنعومة الحرير، ثم تناءبت.

- لا أستطيع أن أصدق!

قالت آيمي ذلك ما إن أوشك رافاييل على مغادرة الغرفة ليتوجه إلى الطابق السفلي. فهو يريد استئناف عمله في التحضير لمؤتمر أستراليا، بعد أن تمت مقاطعته بفظاظة. استدار وقد ضاقت عيناه وهو يتأمل تلك المرأة الصغيرة الجسم المستندة إلى الوسائد. فكر أنها تبدو غاية في الهشاشة والرقة.

- ما الذي لا تستطيعين تصديقه؟

رافاييل ليس معتاداً على تحمل التعقيدات العاطفية لدى النساء. بالطبع هو ليس رجلاً مستعداً لإقامة علاقة عاطفية مع كل امرأة يصادفها، وانفصاله عن صديقاته الحميمات لم يكن يوماً فوضوياً ومتعباً. من جهة أخرى، فهو كرجل في الرابعة والثلاثين من عمره، يعرف ما يريده في الحياة، وهذا يتضمن النساء أيضاً.

ارتجف صوت آيمي وهي تقول: «لا أستطيع أن أصدق أنني كنت بهذا الغباء، أعني... فقط لأنه نظر إلي مرة أو مرتين، وتبادلنا الثرثرة من وقت إلى آخر... كيف تراني فكرت بالموضوع هكذا؟ أعني... هل حصل ذلك يوماً معك؟ هل سبق أن فسّرت إشارات شخص ما بشكل خاطىء تماماً، ثم قمت بابتداع قصة خرافية كاملة في رأسك بعيدة جداً عن الهدف؟».

- مطلقاً!

- آه! لكن.. أنت لا تعرفه حقاً... إنه... إنه...

- كلا لا أعرف.

كان رافاييل متأكداً تماماً من أنه على وشك أن يكتشف حقيقة الأمر، إلا إذا وضع حداً لهذا الهراء. عليه أن يغلق باب غرفة النوم بإحكام، فلا يواجهها إلا حين توشك على مغادرة المنزل في الصباح. ختم الحديث قائلاً: «لكني أستطيع أن أقول لك إنه لا يستحق العناء».

- لا يمكنك أن تقول هذا، فأنت لا تعرفه.

- ما أعرفه هو أن لا أحد يستحق ذرف الدموع لأجله.

تخلّت آيمي على مضض عن رغبتها في التمرّغ بآلامها، ثم عبست في وجه رافاييل، قائلة بفضول واضح: «أفترض أنك لم تقع أبداً في الحب...».

أخذ رافاييل يندم بسرعة على اندفاعه إلى الإصغاء لشكاوى المرأة، فقد شعر بالأسى تجاهها لبعض الوقت.

قال لها بنبرة جافة: «أنا لا أؤمن بهذا المبدأ. إن الأشخاص الرومنسيين يتعلقون بهذه الفكرة، لأنهم يظنون أن الحب يجعل الحياة منطقية، لكن بالنسبة إلي... لا. أظن أنني سأتجنب الحب كما أتجنب الطاعون، لا سيما إذا كانت نتيجته النهائية ما أنظر إليه في هذه اللحظة تماماً».

استجمعت آيمي طاقتها لتحملق في وجهه، لكنها لم تستمر في ذلك طويلاً، بل قالت: «على الأقل نحن الرومنسيون نستمتع بوقتنا!».

ردّ عليها رافاييل بنبرة جافة: «أهو أمر ممتع أن تكوني مستلقية على سرير شخص غريب عند الساعة الواحدة والنصف صباحاً وأنتِ تتنحين...؟».

أجبرها رده هذا على التسليم بهزيمتها.

- حسناً! أنت تفوز. أنا غبية. لن أقع في غرام المدير...

٣ - غريبان في نزهة

حسناً! يملك رافاييل من الجرأة ما يكفي ليقرّ لنفسه صباح اليوم التالي بأنه يشعر بالفضول. لا بد أن حياة الوحدة التي يفرضها على نفسه جعلته كذلك. خلال السنوات الثلاث الماضية، اقتصر اتصاله بالعالم الخارجي على المكالمات الهاتفية أو على التواصل من خلال البريد الإلكتروني، ومع ذلك فقد حرص على إتمام مختلف القضايا الخاصة بشركاته العالية الأرباح على أكمل وجه.

وقف لبضع لحظات، والعبوس يعلو وجهه. فكّر بإليزابيث... إليزابيث الراقية الملائمة تماماً، وبافتراقهما المتحضر عن بعضهما. ذلك الفراق الذي كان رافاييل المحرّض له. بالرغم من ذلك، فهو عندما يفكّر بالأمر منطقياً، لا يستطيع أن يفهم تماماً ما الذي حثّه على اتخاذ هذا القرار. فإليزابيث تجسد كل ما يتمناه في المرأة... نظرياً على الأقل.

تعرّف رافاييل بإليزابيث التي كانت تقود فريقاً من المحامين الذين استخدمتهم الشركة منذ ثمانية أشهر لحلّ بعض المشاكل القانونية المعقّدة التي واجهتها مع إحدى الشركات التي تقوم بتصفيتها. تأثّر في البداية بكفاءتها النادرة وأسلوبها البارد وثقتها بنفسها. وبعد تعارفهما جيداً وجدا أن هناك العديد من الأشياء المشتركة بينهما في مجالات متنوعة كالأوبرا والمسرح وموسيقى الجاز...

ولتكتمل الصورة تبين له أن إليزابيث هي من ذلك الصنف الذي يفضّله في النساء، فهي امرأة سمراء ذات قامة طويلة، وشعر قصير أملس مرتب، وتتمتع بذوق أنيق وتقدير لكل ما هو راقٍ ومتحضّر.

شعر رافاييل بالانزعاج قليلاً لأن والدته كرهت إليزابيث حالما التقتها، لكنه لم يسمح لذلك بتعكير الأفكار الحقيقية التي كان يأخذها بعين الاعتبار حيال الزواج. فقد كان ينوي القيام بتلك الخطوة التي لا مفر منها.

سارت الترتيبات على خير ما يرام إلى أن بدأت الشكوك تنتابه حيال علاقتهما، إذ بدا له هذا الكمال في طبيعة علاقتهما مملاً. فمنذ ثلاثة أسابيع تراءت لرافاييل صورته المزعجة مع إليزابيث، إذ تصوّر نفسه معها بعد مرور عشرين عاماً على زواجهما، وإذا هما زوجان في متوسط العمر ملائمان وأنيقان تماماً، لكنهما في الجوهر مملان جداً. على الأرجح أنهما سيثابران على ارتياد دور الأوبرا باستمرار، ويربيّان أولادهما ليصبحوا كاملي الصفات لكنهم سيكونون مملين أيضاً لأنهم مثلهما تماماً.

انسحب رافاييل من تلك العلاقة بهدوء إلى أن انفصل عنها في النهاية. أدرك أن تمضية عشرة أيام في منطقة هامبتون بعيداً عن أي اجتماع يحضرانه معاً في الشركة، هو أمر مفيد لكليهما.

رجع رافاييل إلى الواقع، متذكراً شعوره بالفضول نحو تلك المرأة التي ما زالت مستلقية في سريره في الطابق العلوي. ملأ كوباً من القهوة الطازجة الساخنة وتوجه إلى الطابق العلوي. تمهّل قليلاً أمام باب غرفة نومه، كي يتمكن من النظر نحو المرأة المستلقية على سريره من دون أن يتأثر بها.

بدا كل ما يتعلق بآيمي في حالة من الفوضى؛ شعرها الأشقر مبعثر في كل مكان، وأغطية السرير شبه مرمية على الأرض، وقد تدلّت على أحد جانبي السرير قدم نحيلة جداً، فيما استلقت ذراعاها فوق رأسها. فكر رافاييل بشرود أنها إنسانة تثق بالآخرين، لذلك هي تنام مسترخية على ظهرها. لا عجب إذاً أن تتعلق بحب جيمس من دون أن يحاول هذا الأخير القيام بشيء حيال ذلك حتى.

- حان وقت النهوض أيتها الجميلة النائمة.

تمشّى رافاييل باتجاه الستائر ففتحهما بحركة قوية، ما جعل آيمي تجلس

مستقيمة في السرير، مطلقة نحيباً ساخطاً. غطت عينيها بسرعة لتحميهما من الوهج الفظيع المفاجىء المتطفّل.

- أحضرت لك القهوة، أما ملابسك فأصبحت نظيفة.

أنّت آيمي، وغارت مجدداً تحت الأغطية، ثم غطت وجهها بوسادة لتمنع الضوء عن عينيها.

مشى رافاييل بهدوء نحوها ورفع الوسادة عنها، مبعداً إياها عن متناولها، فيما حاولت أن تلتقطها منه بغير جدوى. أخيراً، بعد أن استسلمت، جلست آيمي مستندة على كفّيها، لتتمكن من توجيه أفضل حملقة نحو رافاييل.

- كم الساعة الآن؟

تناولت كوب القهوة مرحبة به جداً، بعد أن وضعه رافاييل على الطاولة المجاورة للسرير. أنّت بصوت أقوى عندما أخبرها عن الوقت، ثم مدّت يدها لتتناول هاتفها الخليوي.

بالطبع، لم تجد هاتفها إلى جانبها، فهي غادرت الحفلة يوم أمس وتوجهت نحو الأراضي المجاورة للمنزل، ولم تفكر أنها قد تنهي أمسيتها عالقة في أعلى الشجرة.

نظرت إلى رافاييل يائسة، وقالت: «آه، يا إلهي! ما عسى كلير تفكر الآن؟».

- من هي كلير؟

- إنها صديقتي المقربة. يا إلهي! يفترض بي أن أكون الآن على الشاطىء، أتمتع بالنزهة، وأشارك في حفلة الشواء برفقتهم اليوم... حتى إنني قمت بإحضار ملابس خاصة للمناسبة...

صرّت آيمي على أسنانها بإحباط، ثم نظرت إلى رافاييل نظرة اتهام. من الواضح أن أموره تجري على ما يرام، فهو يقف هناك نشيطاً ونضراً كزهرة الأقحوان. إنه لا يشغل فكره إلاّ بآلات جزّ العشب والحدائق، بينما هي تتخبط في حالة من الكرب العاطفي!

- لا داعي لأن تقلقي، فقد اتصلت بالمنزل.

- ما الذي فعلته؟

رفع رافاييل حاجبيه متسائلاً: «اتصلت بالمنزل. أين المشكلة في ذلك؟».

برزت في ذهن آيمي صورة صديقتها المفضّلة كلير وهي تثرثر ضاحكة بأعلى صوتها مع كل أصدقائهما المشتركين. بعدئذ سألته: «ما الذي قلته؟».

- قلتُ إنك خرجت لاستنشاق بعض الهواء فتُهتِ في الحدائق، وعندما وصلتِ أمام باب الكوخ كنتِ مرهقة. وبما أن الوقت كان متأخراً جداً لأعيدك من حيث أتيتِ، تكرّمت بالسماح لك بتمضية الليل هنا، وسوف أرسلك إلى المنزل مع طلوع الصباح. هل يحظى هذا بموافقتك؟

- أستنتج أنه لا يلقى موافقتك أنت، بالنظر إلى نبرة صوتك.

- هل نسيت بأنك يجب أن تكوني ممتنة لي لأنني أخرجتك من تلك الشجرة...؟

قال رافاييل ذلك فيما راقب وجهها يصاب بالشحوب.

- مع من تحدثت؟

- آه! مع مديرك، بالطبع.

- أنت... تحدثت مع جيمس...

- ما الذي قلته له؟

- آه! فقط بأنك أمضيت الليل تتجولين في الغابات، برفقة قلبك المتألم المحروم من الحبيب، إلى أن وجدت حبيبك مطبقاً بإحكام على امرأة أخرى وهما يتبادلان العناق. في هذه المرحلة قررت تسلّق شجرة، وأجبرت أنا على إنقاذك...

- أنت لم تفعل!

- بالطبع، لم أفعل!

استدار رافاييل في الوقت المناسب لالتقاط الوسادة التي كانت تجنح في

طريقها نحو رأسه، فربت عليها لتعود إلى شكلها المرتب ثم قذفها على الكرسي إلى جانب النافذة، قائلاً: «ملابسك في الطابق السفلي، كذلك الفطور في حال رغبتِ بتناول أي شيء. يمكنك بعدئذٍ أن تنطلقي في طريق العودة...».

شعر رافاييل بالارتباك عندما وجد عيناه تنجذبان نحوها، وتتأملان معالم وجهها الناعمة. عبس منزعجاً من نفسه، فحثها على النهوض قائلاً: «... لذا، هيا! قومي سأترك ملابسك أمام باب غرفة النوم. يمكنك أن تأخذي حماماً إذا شئت».

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحاً، وقد أحدثت هذه المرأة ما يكفي من الفوضى في نهار عمله هذا.

شرد ذهن رافاييل بعيداً عن التقرير الذي يومض على شاشة الكمبيوتر أمامه. تخيّل آيمي وهي مرتمية على سريره، مرتدية القميص، ثم تخيلها تنزل عن السرير بحركة سهلة رشيقة، وتسير نحو الحمام. ما لبث أن عبس ودفع الأفكار الدخيلة بعيداً عن ذهنه، ثم ركز انتباهه على عمله. لم يرفع نظره عن الشاشة إلا حين وطأت آيمي أرض الغرفة، وهي مرتدية ملابسها بإكملها، لكنها حافية القدمين.

- ما الذي تفعله بحق السماء؟

سألته آيمي وقد فاجأها أن تجده أمام شاشة الكمبيوتر المحمول، فما بالك بصفوف الأرقام المعقدة التي يبدو أنه يحدّق فيها.

أطبق رافاييل الكمبيوتر مغلقاً إياه بسرعة. ثم نظر إلى آيمي واضطر إلى الاعتراف لنفسه بأنها تبدو أفضل حالاً وهي ترتدي ملابس نظيفة غير ملطخة بالوحول والأوساخ.

- حسناً!

قالت آيمي ذلك بنبرة مستفزة، ثم مشت نحوه، ووقفت خلفه مادّة يديها من فوق كتفيه، لتحاول فتح غطاء الكمبيوتر الذي كان قد أغلقه. قبض رافاييل بقوة على رسغيها، ثم جرّها برقة حتى كادت تفقد توازنها فوقعت

عليه. شعرت آيمي كأن قلبها توقف عن الخفقان، ثم أخذت نبضاته تتسارع حتى بدأت تشعر بالدوار نوعاً ما. أحست بالغرابة والتوتر وبأنها مكشوفة أمامه. أدارها رافاييل لتواجهه وهو ما يزال ممسكاً بها.

- ألم تسمعي أبداً بما يدعى «الخصوصية»؟

سألها رافاييل، وقد أحسّ برسغيها كأنهما غصنين طريين بين أنامله. لم يحسّ يوماً بالنعومة والرقة الأنثوية التي أحسها فيها الآن، لذا أفلتها ثم طوى ذراعيه خلف رأسه.

- آسفة...! أنا فقط اعتدت... على...

صمتت آيمي وفركت رسغيها، متراجعة إلى الخلف بضع خطوات من غير إدراك، ثم ضحكت على نفسها لأنها تصرفت كالمغفلين.

وقف رافاييل وتوجه نحو المطبخ، فتبعته آيمي. بدا لها من الأسهل أن تحدثه وهو يدير ظهره، فتابعت: «... على عائلة كبيرة... ثلاثة أخوة...».

ضحكت آيمي وقد استعادت سكينتها، بالرغم من أنها كانت ما تزال تفرك رسغيها، كأنها تحاول التخلص من الحرارة التي أحسّت بها فجأة ثم تابعت: «... ومنزلٌ صغيرٌ جداً. أظن أن الخصوصية أمر لم يكن حقاً موجوداً دوماً... لذا... أنا آسفة...».

- اعتذارك مقبول. والآن، ماذا ترغبين للفطور؟

جذب رافاييل باب الثلاجة ففتحه، فيما فتحت آيمي فمها مشدوهة. توقعت أن ترى علبة حليب يشارف تاريخ صلاحيتها على الانتهاء، وربما بيضة أو اثنتين، وبضع علب من العصير، وقطعة من الجبنة. لكنها عوضاً عن ذلك وجدت أمامها كميات وافرة من المأكولات الشهية المبهجة.

احتل سمك السلمون المدخن مساحة أحد الرفوف مع ما يبدو أنه بعض الباتيه الغالي الثمن، فيما وضعت دزينة من البيض بترتيب في المكان المخصص لها، كما كانت هنالك سلطة طازجة مشرقة خضراء، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من الأجبان الفاخرة.

نظراً لعملها في مجال تقديم الطعام، فكرت أنه مرّ وقت طويل جداً على آخر مرة رأت فيها تموينا في المطبخ بهذه الوفرة ومن النوعية الجيدة. مدت يدها واستخرجت رزمة باتيه البط.

قال رافاييل بنبرة جافة: «اخدمي نفسك».

حدّقت إلى الداخل، وكانت مستعدة لتقوم بالمزيد من المسح لولا قيام رافاييل بإغلاق الباب بسرعة وخفّة أمام وجهها المتسائل.

- سأحضر بعض الخبز، اجلسي.

جلست آيمي مطيعة إلى طاولة المطبخ المصنوعة من الغرانيت والكروم، وهي دلالة حقيقية على الحياة العصرية المترفة. تساءلت كيف يتمكن بستاني متواضع من تحمل نفقات هذا الترف، بالرغم من أنه غير متواضع أبداً في شخصيته. قررت بعدئذٍ أن جيمس هو من يدفع الفواتير، أو بالأحرى والدته التي تمتلك المنزل.

قالت آيمي بصوت بدا منصباً بعزم على هدف ما: «مثير جداً للاهتمام! بما أنني أعمل في مهنة إعداد الطعام وتقديمه، أفترض أن هذه الأطعمة مصنوعة في المنزل. فهي ليست من النوعية العادية التي تباع في السوبرماركت».

- إلى أين تبغين الوصول بهذا الاستنتاج؟

- مباشرة إلى هذا السؤال...

قالت آيمي وهي تشق قطعة الخبز بواسطة أناملها، ثم راحت تتناول فطور الباتيه مع الخبز. ثم تابعت: «كيف يتحمل البستاني نفقات ثلاجة ممتلئة بأفخر وأجود أنواع الطعام كهذه الثلاجة؟».

هزّ كتفيه وقال: «لمَ لا؟ أنا رجل يتمتع بذوق مرهف، مهما كانت مهنتي. وكما ترين، فليس لدي عائلة أصرف عليها الأموال التي أجنيها».

- ما الذي يحصل لو قررت حقاً أن... أنت تعلم... تتزوج، وتنشىء عائلة؟ أقصد... على الرغم مما قلته بأنك لست شخصاً رومنسياً، لكن حتى الأشخاص الواقعيين العمليين يلتقون بالمرأة المناسبة في

آخر المطاف فيتزوجون... ما أقوله هو هل ستضطر إلى مغادرة هذا المكان الخيالي الرائع؟

أجابها رافاييل متعجباً: «لا أصدق مدى فضولك هذا! ثقي بي عندما أقول: إذا ما سئمت من مهنة تقديم الطعام، يمكنك العمل كمحقق خاص».

ردّت آيمي وقد شعرت بالإهانة: «كان هذا مجرد سؤال، لم أظن بأنني أتطفل على خصوصيتك الغالية. لا عجب أنك لا تستطيع الحصول على امرأة بستانية رفيقة لروحك تشاركك حياتك! إذا كنت معتاداً على خنق الناس عندما يطرحون عليك سؤالاً عادياً تماماً!».

ردّ رافاييل، وهو يفكر بصديقته الحميمة السابقة، المحامية المتميزة إليزابيث: «يصادف أنني لا أبحث عن رفيقة لروحي، لا امرأة بستانية ولا سواها. ولكي أجيب عن سؤالك: نعم، المنزل لي مهما كانت أحوالي الشخصية».

- رغم هذا... أفترض أنك حتماً قد تجد الأمر نوعاً ما... صعباً من بعض النواحي.

بدا الأمر أشبه برؤية فخ متربص في البعيد. أدرك رافاييل أن الطريقة الأسهل لتجنب الخطر هي في القيام بمناورة واحدة بسيطة، رغم ذلك فهو ما زال يندفع مباشرة نحو الكمين، بعينين مفتوحتين. أدرك أن عليه ببساطة تجاهل ملاحظتها الغامضة المثقلة بالمعاني، وأن عليه التعجيل بدفعها خارج المنزل، ومع ذلك...

- ليست لدي فكرة عمّا ترمين إليه.

وقفت، ونظرت من حولها بحثاً عن صندالها الذي بدا غير صالح للاستعمال بعد أن تم وضعه في الغسالة فأصبح مخلعاً.

قالت: «لا يهم. سوف أذهب الآن وأدعك بسلام، إذا كنت لا تمانع في إرشادي نحو الاتجاه الصحيح. أظن أنه يمكنني تدبر أمر العودة سيراً على القدمين الآن!».

- تأخرتِ على الالتحاق بأي من نشاطات هذا النهار.

أخبرها رافاييل بذلك، وقد أزعجه أنها لم تتمِ ما كانت تنوي قوله.

انتابه شعور بأن آيمي أعادت النظر بشأن النطق بما تفكر فيه في الدقيقة الأخيرة، لأنها شعرت بالأسف عليه. لكن، لا أحد يحق له أن يشعر بالأسف على رافاييل فايفس.

- أعرف ذلك...

قالت آيمي، وهي تتفحص صندالها آملة أن تتمكن من انتعاله في نهاية الأمر. لكن بدا ذلك مستحيلاً لأن الربائط الأنيقة بدت متشابكة بشكل لا يمكن فكه.

أخيراً التقطت الصندال مطلقة تنهيدة صغيرة تنم عن الرضوخ، ثم نظرت إلى رافاييل قائلة بصوت فيه مسحة من الحزن: «لا بد أن الجميع غادروا عند الساعة التاسعة والنصف، وهم الآن يسيرون على الرمال الذهبية ويقيمون حفل شواء ممتع على الشاطىء...».

ردّ عندها رافاييل، وشفتاه ترتعشان: «لا أظن أنك ستتمكنين من العودة إلى أي مكان مع هذا الحذاء. لقد قذفتهما إلى الغسالة مع الملابس، لاعتقادي أن هذا سيؤدي المطلوب».

علّقت آيمي بابتسامة أشبه بتكشيرة: «لكان هذا هو المطلوب لو أنه مصنوع من القماش. لا تقلق، فهذا الحذاء غير نافع على كل حال، فجيمس لم ينظر إلي على الإطلاق وأنا أنتعله».

في تلك اللحظة اتخذ رافاييل قراره: قال: «هيا بنا! سنأخذ السيارة».

لم تجرؤ آيمي على الاعتراض على عرضه المجاني أو مناقشته، بل قبلت الرحلة بالسيارة بمرح. أما الأمر الذي صَعُبَ عليها استيعابه وتقبله، فهو تلك السيارة التي كانت تنتظرهما عندما وصلا أخيراً إلى الدرب التي تلتف حول الأراضي الواسعة. لم تكن بانتظارهما سيارة ذات دفع رباعي، عجلاتها ملطخة بالوحول، بل سيارة رياضية منخفضة الارتفاع. إنها عبارة عن تجسيد لذوق رافاييل الخاص الذي لا يخلو من التهور.

- لا تتفوهي بأية كلمة.

حذّرها رافاييل وهو يفتح أبواب السيارة بإطلاق الصوت المعهود من علاقة المفاتيح الموجودة في جيب بنطلونه.

- لن أحلم بذلك حتى.

سمحت آيمي لرافاييل أن يفتح بابها، مقدّرة ما أظهره من سلوك مهذب، وهو أمر لم تكن معتادة على رؤيته، ثم انزلقت إلى السيارة بهدوء. بدا أثاث السيارة لامعاً من الداخل كما هو طلاؤها الخارجي تماماً، استدارت نحو رافاييل مبتسمة ابتسامة عريضة، ولم تستطع مقاومة أن تضيف: «على الرغم من أنني أود أن أكون ذبابة على حائط منزلك عندما تلتقي فعلاً ببستانية رفيقة لروحك، تلك التي تقول إنك لست تبحث عنها!».

- لن أزعج نفسي حتى بأن أسألك ما الذي ترمين الوصول إليه، فأنا أعلم أنك ستخبرينني على كل حال.

شعر رافاييل بإحساس مفاجىء من الفرح يسيطر عليه، حالما زجر محرك السيارة ممتلئاً بالحياة. بدأ بعدئذٍ بتجاوز الطريق المحيطة بالأراضي متوجهاً إلى خارج الملكية نحو... مركز المدينة؟ أحد الشطآن؟

ركزت آيمي انتباهها على رافاييل، ولم تدرك لشدة غبطتها أنه يقود السيارة بعيداً عن اتجاه المنزل. في الواقع، شعرت أنها في منتهى السعادة ولم تكن واعية لأي شيء باستثناء صورته الجانبية القوية المليئة بالعزم، والابتسامة الخفيفة التي تشدّ زاويتي فمه، ويده المستقرة برفق على عجلة القيادة. بدا رجلاً شديد الثقة بنفسه، مسيطراً تماماً على سيارته.

- حسناً! إذا كنت مصراً على معرفة الأمر. لكن أرجوك، لا تسمعني عظة طويلة مملة حول انتهاك خصوصيتك، فأنت منحتني إذنك لأن أخبرك ما أفكر به...

وجه رافاييل نظرة جانبية طويلة ساخرة متقطعة نحو آيمي، فتابعت كلامها: «... أود أن أراك عندما يحين الوقت لتفترق عن هذه السيارة

الرياضية... أعني... أنت تستطيع تحمل نفقة هذه الأشياء الآن، لأنك لا تحمل أية مسؤوليات... باستثناء عملك في الحدائق طبعاً».

أضافت آيمي ذلك بسرعة إذ لطالما أغضبها أن يقوم الآخرون بالتقليل من قيمة مهنتها، تابعت قائلة: «لكن صدقني، هذه السيارة هي أول ما ستضطر إلى التخلي عنه حالما تتخذ لنفسك زوجة وتبدأ بإنشاء عائلة».

استرقت نظرة إلى رافاييل، فشعرت بإحساس غريب في معدتها عندما تساءلت كيف يمكن أن يبدو أولاده، ما جعلها تشيح بنظرها بسرعة بعيداً عنه.

ابتسم رافاييل ابتسامة عريضة ونظر باتجاهها قائلاً: «هذا سبب إضافي لعدم بحثي عن رفيقة لروحي. وبالمناسبة، نحن لسنا متوجهين نحو المنزل...».

- ألسنا كذلك؟ لِمَ لا؟

شعرت آيمي بشيء يشبه وخزة من الحماس في أعماقها، سرعان ما أبعدتها.

- أشعر أنني مجبر إلى حدٍ ما على استبدال الحذاء الذي أتلفته.

أخبرها رافاييل بذلك برزانة، فلم تعرف آيمي إن كان جدياً في ما يقوله أم لا. لذا ردّت عليه بسرعة: «ما من داعٍ لذلك حقاً، فما زال بحوزتي الحذاء الرياضي. كما أنه يمكنني دوماً أن أستعير أحذية كلير، إننا نتنعل أحذية من القياس نفسه».

- لن أسمح بذلك.

- لكن ماذا عن عملك؟ كنت منشغلاً أمام شاشة الكمبيوتر هذا الصباح. لا أرغب بمقاطعة... مهما كان ما تفعله...

- أتراني أستشعر نوعاً من السخرية خلف كلامك، أم أنني مخطىء؟

أثارت آيمي غيظه بكلامها، فيما استمتعت هي بتلك اللحظة، قائلة: «أنت لا تشبه البستاني كثيراً، أليس كذلك؟».

استدارت آيمي نحو النافذة وأخذت تحدق نحو الخارج. كانت المناظر

الطبيعية الخلابة تمرّ من أمامها فيما هي مندمجة بالحديث مع رافاييل.

لم يدرِ رافاييل منذ متى أصبح يذهب برفقة امرأة ليتسوق. التسوق هو، ببساطة، إحدى وسائل تمضية الوقت التي يفضل تجنبها.

سأل نفسه الآن، لِمَ يقوم بهذه الرحلة غير الضرورية؟ وما لبث أن عبس ودفع هذا السؤال غير المرغوب فيه بعيداً عن ذهنه.

هنالك أمور جمّة يمكن أن يقولها لآيمي ليخبرها عن جزيرة لونغ آيلند، فلِمَ لا يفعل ذلك؟ راح يحدثها عن الشطآن المذهلة الرائعة والغابات المليئة بأشجار الصنوبر ذات المسالك الطبيعية الهادئة، حيث تنتشر بحيرات المياه العذبة المحجوبة عن الأنظار. أما الأمر الذي لم يضطر إلى ذكره، والذي شاهدته آيمي بنفسها بوضوحٍ تام، فهو أن هذا المكان يفوح برائحة الأموال.

لم تكن لدى آيمي أية فكرة عن ثمن زوج عادي من الصنادل، لكنها أدركت تماماً أنه سيتخطى ميزانيتها المتواضعة. أوضحت ذلك لرافاييل عندما وصلا في نهاية المطاف إلى المدينة الصغيرة الأنيقة ذات المحال التجارية التي تبدو أسعار بضائعها الباهظة مرعبة بالنسبة إليها.

- أنا سأهتم بالموضوع.

قال رافاييل ذلك وهو يركن السيارة بدقة، ثم استدار لينظر إليها قبل أن يهم بفتح بابه.

- لا يمكنك أن تهتم بالموضوع. لِمَ يفترض بك أن تفعل ذلك على أي حال؟

- لأني قمت بغسل ذلك الحذاء اللعين.

- اضطررت للقيام بذلك لأنني تسكعت في الأراضي المجاورة لمنزلك سيراً على القدمين قاطعة أميالاً عبر الملكية، ثم انتهى بي الأمر في أعلى الشجرة.

- يبدو، على الأقل، أنك شفيت قلبك المحطم.

أخبرها رافاييل بذلك وهو يبتعد ليخرج من السيارة قبل أن تتسنى لها

فرصة للرد. تابع وهو يتكىء على مقدمة السيارة فيما هو ينتظرها لتخرج: «ظننت أنني سأواجه اليوم فتاة باكية تتخبط في الفوضى. لكن ما دامت مسألة شرائي للحذاء أم عدمها تشغل تفكيرك إلى هذا الحد، فمن المنصف أن أقول إنك تخطيت مشاعرك تجاه مديرك. مشاعر الحب رخيصة، أليس كذلك؟».

رفع رافاييل أحد حاجبيه مستهزئاً، فشعرت آيمي برغبة في لكمه على وجهه.

- أنا... أنا... ببساطة، لم أشأ أن أضجرك بمشاعري!

غمغمت آيمي بذلك بغموض. لقد أمضت العديد من الأشهر مفتونة بجيمس، ولا مجال لأن تسمح لهذا الرجل باتهامها الآن بأنها سطحية.

- آه! أفترض أنه يجب علي أن أشعر بالامتنان لذلك.

انتظر حتى وصلت آيمي لتقف إلى جانبه. بالكاد يصل طولها حتى كتفه، من دون صنداها ذي الكعبين العاليين. نظر نزولاً نحو قدميها العاريتين، وقال: «من الأفضل أن نجلب لك زوجاً من الأحذية بسرعة».

عادت آيمي إلى نقطة الصفر، حيث أخذت تحاول إقناع رافاييل بأن لا داعي لأن يدفع مبلغاً لا تعرف مقداره ثمن زوج من الأحذية. إنه مجرد عامل متواضع شأنها هي، اختارت حذاءاً عملياً منخفض الكعبين من لون الجلد، يزينه صفٌ صغيرٌ من الحجارة الشبيهة بالماس. لا بد أنه سيبدو رائعاً إذا انتعلته سواء مع البنطلون أم مع التنورة، إضافة إلى أنه يشع بالأنوثة المطلقة.

اكتفى رافاييل بالمراقبة فيما جرّبت آيمي الحذاء في المتجر، متوقفة قليلاً أمام المرآة لتقوم بالمزيد من التفحص التفصيلي. على العكس من جيمس، رافاييل رجلٌ يستخدم عقله، ويعجب بما يدور في ذهن المرأة عوضاً عن التلهي بالمظاهر الخارجية. بالرغم من ذلك عليه أن يقر بأن آيمي تجسد الأنوثة بكل معانيها، بدءاً من غيمة الشعر الأشقر التي تغطي رأسها، وصولاً إلى كاحليها الأنيقين اللذين يتمايلان داخل الحذاء أمامه.

- لا أستطيع أن آخذهما إلا إذا دفع كلٌ منا نصف الثمن. إنهما باهظا الثمن جداً.

قالت آيمي ذلك بحزم وهي تحدق نحو قدميها، ففاتها أن تلاحظ نظرة الحيرة التي وجهتها مالكة المتجر لرافاييل، الذي ردّ عليها بهزة رأس سريعة.

هزّ رافاييل كتفيه موافقاً، وتساءل في قرارة نفسه لو أنها فقط تعلم مدى اتساع ثروته الشخصية، فهل كانت ستتصرف بتلك المراعاة لموارده المالية. تساءل أيضاً إن كان حساب جيمس المصرفي قد لعب أي دور في افتتانها به. لم يكن يعلم أي شيء عن المرأة، لكن معرفته لمهنتها جعلته يفكر أن ثروة جيمس قد تشكل إغراء قوياً بالفعل.

همست آيمي لرافاييل بصوتٍ خفيض: «آه، بحق السماء! ما من داعٍ لأن تبدو متذمراً هكذا!».

- هل تقولين دائماً ما يخطر في بالك بالضبط، حالما تتكون الفكرة في رأسك؟

- إذا كنت تعني بذلك أنني إنسانة صريحة جداً، إذاً.. نعم!

- وهل أنت كذلك الآن؟

سلّم رافاييل بطاقة اعتماده للبائعة، لكنه تابع النظر إليها متفحصاً إياها بعمق، ما دفع آيمي في آخر المطاف لأن تطلق تنهيدة طويلة مرهقة.

- نعم... نعم، أحاول أن أكون كذلك.

قرر رافاييل أن يتطرق إلى ذلك لاحقاً. ناولها الكيس الذي يحتوي الحذاء، فانتعلته آيمي حالاً وهي تبتسم.

إنها تشبه طفلة صغيرة حصلت على لعبة جديدة. بما أن رافاييل لم ينهمك مسبقاً في جولات تسوّق برفقة النساء، تساءل إن كانت إليزابيث ستبدي سروراً مماثلاً بشراء زوج جديد من الأحذية، وقدّر أن الجواب هو لا!. بالرغم من تلك النظرات الجدية الكئيبة التي ما زالت تعلو وجهه، بدا من المستحيل عملياً ألاّ يرد لها الابتسامة.

- حسناً! والآن لدي فكرة: لمَ لا نجلب ثياب السباحة ثم نتوجه إلى الشاطىء لنقوم بنزهة؟ لا بد أن المدعوين الآخرين هم الآن على الشاطىء، يستمتعون ويسبحون تحت أشعة الشمس المتألقة الرائعة!

فكّرت آيمي بحزن بالتغيرات التي حصلت معها خلال الساعات القليلة الماضية. فقد انتقلت من تطلّعها بشوق إلى ارتداء ثوب السباحة الفيروزي اللون ذي القطعتين في محاولة لتبرهن لجيمس أنها أكثر من مجرد طاهية إلى الاكتفاء بالخروج مع شخص غريب تماماً، لم يتحفّظ أبداً حيال إطلاعها على رأيه فيها. إن رافاييل يمثل بالضبط ذلك الصنف من الأشخاص الذين تتجنبهم آيمي بطبيعتها مهما كان الثمن!

توقعت أن يرفض رافاييل على الأرجح فكرتها رفضاً قاطعاً، لكنها فوجئت عندما وافق على اقتراحها من غير تردد، قائلاً: «غداء طويل متكاسل على شاطىء ما... يبدو فكرة جيدة بالنسبة إليّ».

٤ . اعترافات على الشاطىء

لم تكن آيمي مستعدة للفعالية المدهشة التي أظهرها رافاييل. فقد منحها خمس دقائق من الوقت كي تهرع إلى داخل المنزل لتأخذ الأغراض التي تحتاجها، بما في ذلك ما يكفي من المرهم الواقي من أشعة الشمس، كي لا يضطر لأن يهرع إلى أقرب قسم طوارىء إذا ما أحرقتها أشعة الشمس القوية.

- آه! مذهل.

تمتمت آيمي، لكنها نفذت تماماً ما أمرها به. ترك رافاييل محرك السيارة شغّالاً، فيما ركض بأقصى سرعته نحومنزله، ثم عاد خلال خمس دقائق مرتدياً لباس السباحة المكون من بنطلون قصير جداً، مع قميصٍ قطنية فضفاضة، فيما تدلّت منشفة من فوق كتفه. كما وضع نظارات شمسية سوداء، أبرزت ملامحه المتوسطية.

بعدئذٍ توجه إلى متجر صغير رائع للأطعمة الجاهزة، فودّت آيمي لو أنها رافقته لتستمتع بتفقّدٍ مطوّل للأطباق الشهية. لكن بدا كأن رافاييل قرأ أفكارها، لذا طلب منها أن تنتظره في السيارة.

فكرت آيمي بغير تأفف أن رافاييل هو أشبه برجل الكهف النموذجي، لكن لم يفتها أن تلاحظ عدداً لا بأس به من النساء اللواتي أعجبن بمظهر رجل الكهف هذا!

أشاحت آيمي بنظرها بعيداً متعمدة، فيما انسل رافاييل إلى مقعد السيارة بجانبها، معلناً أن كل ما تبقّى الآن ليقوما به، هو التوجه نحو الشاطىء. هنالك العديد من الشطآن ليختارا أحدها، والأمر يتعلق فقط

www.elromancia.com

بالمسافة التي يريدان قطعها بالسيارة حتى يصلا إلى المكان المنشود.

تمتم بصوتٍ خافت: «لا أمانع بأن أقود مسافة طويلة، فربما يجدر بي أن أستفيد من السيارة الرياضية قبل أن أضطر إلى بيعها، لكي أعيل الزوجة والأولاد».

استنتجت آيمي من نبرة صوته أنه يسخر من كلامها السابق، إلا أنها رفضت أن يجرها إلى الرد عليه، لذا قالت له بغطرسة: «أنا سعيدة لأنك عدت إلى وجهة نظري بالأمور».

شعرت بانجذاب حقيقي نحوه. يا له من أمر مضحك! بل هو جنون. فهذا الرجل ليس من الصنف الذي يعجبها. فهي تفضل الرجل الذي يتمتع بحس المرح والفكاهة قبل أي شيء آخر. بالرغم من هذا، فبعض الأشياء التي قالها البستاني...

استرقت آيمي نظرة خاطفة إلى جانب وجهه القوي، حيث ظهر على شفتيه ما يشبه الابتسامة، فرمشت عينيها وقد أصابتها الحيرة.

- أفترض أنك على الأرجح تواجهين المشكلة نفسها أيضاً...

- عن أي مشكلة تتحدث؟

- عليك التخلي عن الأشياء المترفة في حياتك عندما تتزوجين، وربما تتخلين عن عملك...

انفجرت آيمي ضاحكة: «أولاً، أنا لا أنوي أن أتخلى عن عملي حالما أتزوج! قد أقوم بتأسيس عمل خاص بي، عوضاً عن العمل لصالح شركة ما، لكن هذا الأمر يعتمد على الشخص الذي سأتزوجه، أليس كذلك؟ ثانياً، أنا لا أتمتع بأشياء مترفة من النوع الذي تفكر به! لسنا جميعاً محظوظين بما يكفي لكي يُنعم علينا بمنزل يكون تحت تصرفنا!».

ابتهجت آيمي لدى رؤية الرمال المتدرجة نحو المحيط، فباشرت بطرح سلسلة من الأسئلة الحماسية، لكن رافاييل لم يكلف نفسه الرد عليها.

أوقف رافاييل السيارة إلى جانب الشاطىء، في مكان يبدو أنه يتمتع فيه بإذن دخول خاص بالمشتركين، ثم راقب آيمي تركض أمامه وهي تركل

الرمال بأصابع قدميها. كانت قد بدلت ملابسها فارتدت بنطلون جينز قصيراً باهت اللون مع قميص قطنية رقيقة بيضاء شرعت تخلعها وهي تمشي كاشفة عن صدار ثوب السباحة الفيروزي اللون. استنشق رافاييل بحدّة نفساً عميقاً وهو يفكر أن آيمي جاءت مجهزة بما يلزم من الملابس لكي تفقد جيمس صوابه. تساءل ماذا هناك أيضاً في خزانة ملابسها من أثواب تستخدمها لتفتن جيمس. عبس منزعجاً من نفسه لأنه انجرف في تفكيره هذا. في الواقع، كان عليه أن يشعر بالانزعاج من نفسه لأنه اتخذ قرار مغادرة عمله وكمبيوتره النقال هذا الصباح، إلا أن رافاييل ذكّر نفسه بأنه يفعل هذا لأجل غاية نبيلة!

سارعت آيمي في العودة إلى رافاييل منقطعة الأنفاس، مقدمة الاعتذارات لأنها لم تساعده على حمل بعض أغراض الرحلة. انجرفت عينا رافاييل من خلف نظارتيه لتتأملا جسمها الرشيق وخصرها النحيف وقدميها الصغيرتين. تتمتع آيمي بقوام نحيل جميل، ووجد رافاييل أن تناسق جسمها مدهش رغم نحافته. انتابه شعور غدّار من التوق إليها، فأخذ يحث الخطى أكثر فأكثر ليسبقها.

- حسناً يا سيدي «الرجل»! أنا لا أمانع بتاتاً إذا أردت أن تبرهن كم أنت ضخم وقوي!

قالت آيمي ذلك، لكنها لاحظت بأنه حقاً يتمتع بجسم ضخم وقوي بل ضخم جداً. تمهلت قليلاً قبل أن تتابع طريقها مقتفية آثاره.

كان رافاييل قد فكر بإحضار بساط، يحتفظ به في صندوق سيارته. ما إن وصل إلى المكان المقصود، فرش البساط وأفرغ أكياس الطعام عليه، ثم انتظر آيمي حتى تنضم إليه.

كان كلاهما واقفين الآن، فشعرت آيمي بالسخافة بسبب ثوب السباحة الخاص بها، والذي يبدو شديد التألق. وقوفها وحيدة أمام رافاييل الآن، جعلها تشعر فجأة بأنها مكشوفة تماماً، مدّت منشفتها على الأرض بسرعة ثم جلست عليها مسترخية إلى الخلف ومستندة إلى مرفقيها.

www.elromancia.com

شعرت بالارتياح عندما فعل رافاييل ما فعلته أيضاً. فخلع قميصه واستلقى على منشفته. أقرّت في سرها أن أعمال البستنة منحته بنية جسدٍ مثير للاعجاب. أحسّت عندئذ بجفاف في فمها.

ألم يكن رافاييل محقاً حينما ألمح بأنها امرأة سطحية؟ أتراها من نوع الفتيات السخيفات اللواتي يقعن في الغرام ويخرجن منه لمجرد المتعة؟

- أين تراهم ذهبوا...؟

ردّ رافاييل بفظاظة قائلاً: «لماذا تهتمين؟ فلم تعد مهمتك أن تحاولي جذب رئيسك وإيقاعه في شباكك إلا... إذا كنت قد أقمت معه علاقة من قبل، والأمر بالنسبة لك ليس سوى محاولة لرد الاعتبار...؟».

انتفضت آيمي لكلامه وجلست باستقامة، ثم استدارت نحوه وقد احمرّت وجنتاها بسبب إهانته تلك.

- كيف تجرؤ؟

قفزت واقفة على قدميها وانطلقت تسير مبتعدة. ما هي إلا لحظات حتى شعرت بيد رافاييل تستقر على ذراعها، لكنها لم تلتفت نحوه. حاولت أن تنفض اليد التي تمسك بها، لكن بدا لها كأنها تحاول إبعاد طوقٍ فولاذي، فأجبرت أن تواجهه في نهاية الأمر.

- أنت معتادة على هذا، أليس كذلك؟ أهذا هو أسلوبك في التعاطي مع المواقف المحرجة؟ تسيرين مبتعدة بأسرع ما يمكنك في أي اتجاه تقودك قدماك نحوه؟

فردّت عليه: «هل تمانع؟ أنت تؤلمني!».

كان هذا أفضل ما استطاعت التفكير فيه. أفلتها رافاييل حالاً، واستطاعت أن تراه بوضوح وهو يستعيد رباطة جأشه، فتابعت قائلة له: «لا أنوي الجلوس معك على الشاطىء وتناول... سندويشات لعينة على الرمال، فيما أنت تقوم بإهانتي!».

تراجعت بعدها بضع خطوات إلى الوراء وحلقت في وجهه قائلة: «أنت

تدين لي باعتذار!».

لم يتعرض رافاييل طيلة حياته لموقف مماثل، حيث يطالبه أحدهم بالاعتذار. اندهش، بالمعنى الحرفي للكلمة، من طلبها هذا، فردّ عليها: «ماذا؟».

- سمعتني، أيها الوغد! أريد اعتذاراً منك الآن! لقد أهنتني للتو!

- ربما... افترضت ذلك...

- حسناً! افتراضك هذا خاطىء، وأنا لن أتزحزح من هنا قبل أن تعتذر!

تمتم عندها رافاييل بصلابة: «آه، بحق السماء! أنا أعتذر لأنك وجدت ملاحظتي مهينة لك».

- جيد...!

- أنا حقاً لا أدرك ما الذي ترينه فيه.

قال رافاييل ذلك، حالما عادا إلى البساط وهما في حالة من الهدنة المؤقتة بينهما. صممت آيمي ألاّ تسمح لهذا الرجل بأن يؤثر عليها، فألقت نحوه نظرة ذابلة، قبل أن تسأله: «هل تقول هذا لأنك تعرفه حقّ المعرفة؟ أعلم أنه رئيسك، لكنه يقضي مجمل وقته في لندن، وأراهن أنه بالكاد يأتي إلى هنا عند مجيئه إلى أميركا، فهو على الأرجح يتوجه مباشرة نحو مكتب نيويورك».

كبت رافاييل ابتسامة أوشك أن يطلقها، وهو يفكر أن أول ما يفعله جيمس حين يحضر إلى أميركا، هو زيارة منزل والدتهما في الهامبتون.

- إنه يأتي إلى المنزل من حين إلى آخر.

قال ذلك، وهو يستلقي على البساط واضعاً يديه خلف رأسه، فيما تحمي النظارتان السوداوان عينيه من وهج الشمس المتألقة. شعر بالارتياح والمتعة معاً وهو يدرك أنها المرة الأولى منذ سنوات، التي لا يضطر فيها إلى القيام بأي شيء. بدا له من سخرية القدر أن يتواجد الآن برفقة امرأة تؤثر في كل عصب من أعصاب جسده.

- آه! ومن خلال تلك الزيارات القليلة، أتظن بأنك تعرفه حق

www.elromancia.com

المعرفة؟

- أوتظنين أنت أنك تعرفينه؟

قال رافاييل معيداً السؤال نحو آيمي، فقد فكر بأن لديه النهار بأكمله، وهو ينوي استخدامه لصالحه. سوف يكتشف نواياها الحقيقية. بدا واثقاً أنه لن يواجه أية مشكلة في استخلاص المعلومات منها. هذه المرأة لا تجيد إخفاء الأمور حينما يتعلق الأمر بالمصارحة.

- بالطبع، أنا أعرفه!

أجابت آيمي بكلمات لاذعة، منقلبة على أحد جانبيها مسندة جسمها إلى الأعلى، وتابعت: «على أي حال، هذا الأمر لا يعنيك أنت!».

صرحت آيمي بذلك من دون تحفظ، فيما استمر رافاييل بالتحديق نحو السماء، وبدا من الواضح أنه متغافل عن وجودها قربه. فتابعت آيمي: «إنه مسل جداً ومحبوب من الجميع بشكل لا يصدق. في الواقع، لا أظن أن هنالك من لا يقع تحت تأثير سحر جيمس!».

عندئذٍ سألها رافاييل بفضول: «كم مرة تسنّت لك الفرصة للتحدث معه فعلاً؟».

- لطالما تبادلنا المزاح سوياً، فأنا أقوم بمهمات تقديم الطعام للهيئة الإدارية. غالباً ما يقتصر الأمر على إيصال طلبيات الطعام، لكن في كثير من الأحيان يكلفني جيمس بتقديم خدمات مميزة لأجل أصدقائه. كما أنني قصدت منزله في الواقع لأنفذ له طلبيات خاصة به.

- إذاً فهو ودودٌ معك، لذلك أنت تظنين أنك واقعة في غرامه.

أحست آيمي أنها تتجه مسرعة نحو الغضب. فكرت قليلاً بما قاله رافاييل للتو، وتأوّهت لدى تخيلها تلك الصورة السخيفة التي تكونت لديه عنها. فاعترفت: «أظنني وقعت في حبه لأنه قام بمواساتي عندما مررت بأوقات حرجة».

أحسّت أن رجل الكهف المستلقي على البساط بالقرب منها يبعث فيها الطمأنينة بصلابة غريبة.

- أوقات حرجة... لماذا؟

- كيف تتصرف أنت حين يتعلق الأمر بالإصغاء للآخرين؟

سألت آيمي وهي تعود إلى وضعيتها الأولى، بحيث أصبح الآن كلاهما يحدقان باتجاه السماء، لكن آيمي أغلقت عينيها.

تساءل رافاييل ما الذي يعنيه الاصغاء بالضبط، فهو رجل لا يعرف سوى صديقاته الحميمات السابقات المصقولات والمنضبطات تماماً، واللواتي يتمتعن بالقوة والنفوذ. ردّ متكمشاً على نفسه: «لست خبيراً بالموضوع!».

- أحقاً؟

ردّت آيمي وقد تشتت انتباهها، بعد أن لاحظت أن رافاييل يملك تأثيراً ما عليها. يخيّل لها لوهلة أنها تتدبر أمورها على ما يرام، وفي الدقيقة التالية يتمكن رافاييل من أرجحتها نحو مكان آخر، فتنسى ما الذي كانت تتحدث عنه في بادىء الأمر. تابعت حديثها: «هل سبب هذا أنه لا تسنح لك العديد من الفرص لـ... للتعرف إلى النساء؟».

بدت الفكرة لآيمي مضحكة الآن بعد أن نطقت بها، فهي نفسها لاحظت أن النساء يحدّقن برافاييل أينما ذهب، وأنهن يرمقنه بنظرات جانبية ذات مغزى. هي متأكدة تماماً أن باستطاعة هذا الرجل الحصول على أية امرأة، تداركت قائلة: «كلا! إنسَ ما قلته لك للتو، فأنت تلتقي بالعديد من النساء، لكنك لا تهتم كثيراً بما يجري في رؤوسهن».

تلون خدا رافاييل بلون قاتم، وسارع إلى تصحيح ما قالته آيمي وهو يصرّ أسنانه: «أنا حقاً ألتقي بالعديد من النساء اللواتي لا يعتبرن أنه من واجبهن إطلاعي على كل الأفكار التي تمرّ ببالهن لحظة بلحظة».

تساءلت آيمي أي صنف من النساء هو هذا النوع الذي يتحدث عنه، لكنها ردّت: «حسناً!».

قال رافاييل بتثاقل: «لكننا كنا نتحدث عنك. قلت إنك كنت... في وضع حرج...».

www.elromancia.com

شعرت آيمي برغبة في الضحك لدى سماعها هذه الكلمة تخرج من فم رافاييل، فقد انتابها إحساس وكأنها تهوي من علو شاهق.

فترت له عابسة تفاصيل تلك الذكرى، فقالت «كنت قد انفصلت عن صديقي، وأشعر بالألم بسبب ذلك. تعرفنا على بعضنا خلال صفوف إعداد الطعام التي كنا نرتادها معاً، هل تصدق؟».

ابتسمت آيمي لذكراه: «كان ممتعاً جداً! لكنه أراد أن يصبح طاهياً مشهوراً يقدم برامج على التلفزيون، ويجعل اسمه معروفاً بين الناس».

تنهدت آيمي وتابعت: «لم يكتف فريدي بتقديم الطعام وإعداده في الغرفة الخلفية. لكنه شعر بأنه حقاً يريد أكثر من مجرد القيام بالطهو خلف الكواليس. كان بمقدوره أن يتابع تدرّبه، ثم يذهب للعمل في إحدى الفنادق الهامة، فيتسلق السلم صعوداً درجة فدرجة شأنه شأن أيّ طاهٍ طموح، لكن فريدي أراد أن يحصل على مبتغاه حالاً، وفي أسرع وقت ممكن».

شعر رافاييل أنه مهتم بما تقوله رغماً عنه.

- في البداية وجدت هوسه مسلياً، إلا أننا بدأنا نتشاجر لاحقاً حول الموضوع. شعرت شقيقتاي بالحذر حياله، لكنني تعلقت به حتى هجرني في النهاية. تخلّى عني من خلال رسالة مكتوبة! قال بأنه وجد شخصاً آخر، ثم اكتشفت لاحقاً أن هذا الشخص هو امرأة يبلغ عمرها ضعفي عمره، جلدها محشو بالأموال! إنه يقيم في إيطاليا الآن، ويمتلك مطعماً جديداً تماماً. قد أمرُّ به يوماً ما لأثير في نفسه أكبر رعبٍ شعر به في حياته.

- إذاً... عندها التقيت بجيمس...

- نعم.. وتمكن من جعلي أضحك.

استنتج رافاييل أن جيمس بدا خياراً آمناً بالنسبة لآيمي يومذاك. أتراها قررت الآن أن تدفع بالأمور قدماً، وقد رأت بعينيها مقدار الأموال التي يمتلكها؟

هزّ كتفيه قائلاً: «إنه يضحك الكثير من الناس، فهل ظننت أنك مميزة

لهذا السبب؟».

احمرّت وجنتا آيمي وساورها شعور من الذنب، فقالت: «كلا... لم أظن ذلك!».

- سوف تكونين مغفلة إن ظننت ذلك.

- لست بحاجة لأن تعظني وأنت لا تعرف شيئاً عني، وعلى الأرجح أنك لا تعرف الكثير عن جيمس أيضاً.

تراجع رافاييل على مضضٍ خطوة إلى الوراء. اللعنة! لديه الكثير من الأشياء ليقولها حول الموضوع، منها أنها قد تكون مجنونة لو فكرت حتى بالتورط مع أخيه. إن فكرة جيمس عن المرأة المثالية، هي تلك التي تتحكم بمشاعرها ولا ترغب بالارتباط من أي نوع مطلقاً. إنه يعرف جيمس جيداً، فهو يعاشر الذين يقيمون الحفلات الصاخبة والذين يستمتعون بتمضية فرص الأعياد الشتوية عبر ركوب الزوارق الطويلة على طول نهر الغرنادين، والذين يمرحون في الحفلات الجامحة التي تقام في المنازل الريفية. لقد مضت على إقامته في لندن بضع سنوات فقط، وخلال هذه الفترة بنى العديد من العلاقات مع عدد وافر من الزبائن، تتخطى ما قد يبنيه أغلب الأشخاص خلال مجمل حياتهم. تلك في الواقع هي موهبة جيمس، وسبب تألّقه بنجاح في عمله. لكن آيمي اتخذت الآن موقفاً دفاعياً أثناء حديثها مع رافاييل، وهذا ليس ما يريده منها. نهض على قدميه وفكر أن من الأفضل أن يبدأ بتناول الطعام، فبدأ بإفراغ رزمات الطعام.

- لست معتاداً على القيام بذلك. ألست محقة؟

- القيام... بماذا؟

نظر رافاييل باتجاهها، حيث كانت آيمي قد نهضت وأصبحت الآن تجلس مائلة نحوه وهي تستند على يديها وركبتيها، فيما أخذت تتفحص محتويات إحدى علب الطعام.

رفعت آيمي بصرها نحوه وقالت موضحة: «بالنزهات في الطبيعة. أعني أنك أحضرت كميات وافرة من الطعام الذي يدهن على الخبز، ولم تحضر

ما ندهنها به، كما أحضرت الخبز من غير أن تحضر ما نقطعه به إلى شرائح. بالإضافة إلى ذلك، أين يفترض أن نضع هذه الأشياء، أليست هنالك صحون؟».

شعر رافاييل بالارتباك والحيرة.

- أتعلم؟ أنت لا تبدو مملاً مطلقاً...

أسرعت آيمي لتضيف: «... لكن أفترض أنك ببساطة لست معتاداً على تناول الطعام في البريّة. إنه أمرٌ غريب، بالنظر إلى مجال عملك!».

شعرت برعشة صغيرة غريبة فيما نظرت محملقة نحو تلك النظارتين السوداوين المغيظتين.

- ربما اعتقدت أنها مجرد نزهة أقضي فيها المزيد من الوقت في الهواء الطلق، فأنا أقضي معظم أوقاتي في الطبيعة في مطلق الأحوال؛ أجزّ مروج العشب، أنقّي الأعشاب الضارّة، وأقطع أغصان بعض الأشجار.

عبست آيمي مفكرة، لماذا تراه يسخر منها؟ فهي أبدت ملاحظة منطقية جداً.

عاد رافاييل يقول بفظاظة: «في الواقع، هذا ليس رأيي عن تمضية الوقت الممتع. فالشمس أشعتها قوية جداً والظلال قليلة، كما أن هنالك رمالاً في الطعام...».

قفز واقفاً على قدميه، وتبعته آيمي فيما أكمل يقول: «أقترح أن نعود إلى السيارة لنرى إلى أين ستقودنا الرياح. يمكننا أن نأكل شيئاً ما ونحن في طريقنا، من أي مكان».

وبالكاد استطاع أن يصدق ما تسمعه أذناه.

وجّهت آيمي ابتسامة مشرقة نحوه وقالت: «حسناً! لكن ماذا سنفعل بهذا الطعام؟ أعني... لا بد أنك دفعت ثمنه مبلغاً محترماً، وأنت لم تسمح لي بالمشاركة في الدفع... فربما أستطيع أن أدعوك أنا إلى الغداء؟ أعلم أنه يمكنك أن تقوم بأمور أفضل من التنقل برفقتي من مكان إلى آخر، وذلك لأن غبائي حطّ بي على عتبة بابك ليلة الأمس».

بعد مرور أربع ساعات أقرّ رافاييل أنه يمضي وقتاً ممتعاً. توالت التجارب الجديدة بالنسبة إليه، من خلال تمضية الوقت برفقة امرأة لا تهتم بالأخبار على وجه خاص، وليست لديها معرفة بالأوبرا، وهي ذات خبرة قليلة بالمسرح، لكن اهتمامها غير السليم بتلفزيون الواقع أمر يثير الدهشة. لم تدر بينهما أية أحاديث ثقافية حول حالة البلد الاقتصاد العالمي، وحتماً ليس حول متطلبات النظام القضائي في أميركا، كما ستكون الحال لو أنه برفقة إليزابيث.

تطرق رافاييل عوضاً عن ذلك إلى ألف سؤال متطفل دار في رأسه، وسمع منها كل ما يتعلق بعائلتها الكبيرة الفوضوية، لكنه اكتشف مع حلول وقت عودتهما أنه لم يستمع إلى أي شيء مطلقاً يتعلق بنوايا آيمي تجاه جيمس. ألم يكن ذلك الهدف الرئيسي من التحدث معها؟ وها هي الآن تطالب بالمغادرة إلى المنزل.

- لماذا؟

عدّدت آيمي الأسباب على أناملها: «لأن الناس سيتساءلون أين أنا، ولأن الألعاب على كافة أنواعها ستقام الليلة، وسيكون الأمر ممتعاً، ولأنني لا أستطيع أن أبقى مرتدية الملابس نفسها إلى ما لا نهاية».

أجبر رافاييل على الإقرار بهزيمته، لأنه لم يحقق أي شيء يذكر خلال النهار. لذلك قرّر في ذلك الوقت تماماً، أن يؤجل العودة إلى عمله لبضع ساعات إضافية. سيقوم بالترفيه عن هذه المرأة خلال يوم غد، وهذا كله من أجل غاية نبيلة أيضاً!

- أية ألعاب؟

لم يستطع رافاييل التفكير بشيء أسوأ من هذا.

- أمسية الكازينو... بالطبع لن نلعب بأموالٍ حقيقية، لكن يفترض أن يكون الأمر مضحكاً وممتعاً.

دمدم رافاييل قائلاً: «حسناً! اصعدي إلى السيارة، فسأقودك إلى المنزل».

جلست آيمي وقد استغربت شعورها بالخيبة. ظلت هادئة ملتزمة الصمت خلال المسيرة القصيرة بالسيارة. عندما وصلا، ضغط رافاييل على زرّ تشغيل في علاقة المفاتيح الخاصة به، ففتحت البوابات الحديدية ببطء مبتعدة عن بعضها.

قال لآيمي: «سأنزلك بالقرب من البوابات، إذا كنت لا تمانعين».

- أفترض أن الأمر سيكون مزعجاً بالنسبة إليك...

كانت الشمس قد أظهرت على وجهها نقاطاً خفيفة من النمش، ما جعلها تبدو أصغر سناً، وضعيفة من غير حماية. أدرك أن مظهرها هذا مزيج ناجح بالنسبة إلى جيمس، فهو سيستغل آيمي، حتى لو كانت لديه فتاة أخرى. رافاييل يعرف أخاه حق المعرفة، فأياً كانت تلك المرأة، هي نزوة عابرة يسهل التخلص منها.

- ... أعني أن تتواجدي هنا بحضور رئيسك وأنت تعلمين أنه على علاقة بامرأة أخرى، وأنه لا يمتلك الوقت الكافي لأجلك. خصوصاً أنك استثمرت وقتك وطاقتك وأنت تحبكين القصص الخيالية حول كيفية إيقاعه في شباكك... وإقامة علاقة غرامية معه...

قال رافاييل ذلك وقد أزعجته الصورة التي تراءت في ذهنه، فقد تخيلها في السرير برفقة أخيه، ولم تعجبه الفكرة أبداً.

أحست آيمي كأنها تتمزق بين سخطها على ما قاله رافاييل، وبين إحساسها بأنها خرقاء تماماً، لأن ما قاله لها الآن دقيقٌ وصحيح تماماً. نعم، فهي حقاً هدرت الوقت والطاقة في حبك التخيلات غير الواقعية، هذا من دون ذكر المال الذي صرفته لشراء ملابس جديدة، اتضح لاحقاً أنها غير مجدية. على الأرجح أن هذا هو أسلوب القدر ليجعلها تفهم أن أي رجل لن ينظر إليها مرتين. حتى هذا البستاني الجالس إلى جانبها الآن لا يفعل ذلك، فهي لم تره ولو مرة واحدة يرمقها بتلك النظرة الخاصة التي يرمق بها الرجل المرأة فتوحي بانجذابه إليها!

كذبت آيمي قائلة: «أنا لست حزينة بهذا القدر! وفي مطلق الأحوال،

هنالك العديد من الأشخاص هنا، فلن أكون مجبرة على التحدث إليه إذا لم أرغب بذلك».

تورّدت وجنتا آيمي خجلاً. فهي تستطيع أن ترى بوضوح الآن، أنها شفيت من افتتانها الغبي، فهذا الافتتان لم يكن أكثر من بلسم مؤقت لكبريائها المجروحة بعد أن هجرها فريدي. لم يخطر ببالها يوماً أن تفكر بما ستفعله لو أن جيمس التفت إليها وعبّر عن رغبته بإقامة علاقة غرامية معها.

احتجت متملّصة من الرد المباشر، فقالت: «قلوب النساء المجروحة لا تشفى خلال ساعاتٍ قليلةٍ فقط».

- لكن قلبك لم يكن مجروحاً، فهل فكرت بذلك الرجل ولو مرة خلال هذا النهار؟

قالت آيمي مشدّدة على كل كلمة تلفظها: «بالطبع لم أفعل. هذا إذا كان الأمر يعنيك!».

تساءل رافاييل كم ستفاجأ آيمي لو علمت كم يعنيه الأمر. تمتم قائلاً: «فكرت بأنك قد ترغبين بأن تستريحي لبعض الوقت، فتمضين نهار الغد في مانهاتن...».

- لا تكن سخيفاً!

أخبرته آيمي وهي تعيد تفكيرها إلى الواقع، بعيداً عن ناطحات السحاب والسنترال بارك التي شاهدتها لملايين المرات على شاشة التلفزيون. تابعت كلامها: «... لا يعقل أن تترك عملك حينما تشاء. أعلم أنك على الأرجح متفق على جدول عملك مع موظفيك، لكن ألا تظن أن رئيسك سيشعر بالانزعاج لو أدرك أنك تدعهم يعملون بمفردهم لليوم الثاني على التوالي؟ فأنت ربما تتمادى في استغلال لطفه، وأنا لا أرغب بأن أسبب لك المتاعب».

ردّ رافاييل وقد أمتعه ما قالته آيمي: «لا داعي لأن تقلقي لأجلي، فالرئيس وأنا متفقان...».

اكتشف رافاييل أنه حقاً يود منها الذهاب برفقته.

- بالطبع سأشعر بالارتياح أكثر إن لم أكن هنا في حضور جيمس، لا سيما أنني تصرفت كالمغفلين... من الصعب علي أن أراه، وأنا أعرف ما عرفته ليلة الأمس. على الرغم من ذلك، فأنا ما زلت...

قطعت آيمي كلامها متذكرة بأنها ما زالت تشعر بالألم بسبب خيبتها من صفعة الحب القاسية.

لم يكن هذا ما رغب رافاييل بسماعه. أتراها أرادت أن تقول إنها ما زالت تحبه؟ ذلك يوحي بإمكانية استمرار ملاحقتها لجيمس حالما يعودان إلى إنكلترا، حيث تعود الظروف إلى حالتها السابقة، حين يتضح لآيمي أن تلك المرأة التي رأتها معه في الهامبتون ليست حائلاً بينهما. ولا بد أن جيمس سيلاحظ وجودها. أيمكن ألا يلاحظ أي رجل حامي الدماء ما تتمتع به آيمي من جمال وفتنة؟ على الفور، غمره تصميم وعزم على الحؤول دون حصول هذا الأمر مهما كان الثمن.

* * *

مرّ رافاييل لاصطحاب آيمي عند الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي. كانت قد استيقظت واستعدت منذ الساعة السابعة، فارتدت مجدداً بنطلون الجينز، لكنها توأمته هذه المرة مع بلوزة قصيرة ضيقة. وبالطبع، انتعلت حذاءها الجديد الرائع.

أطلعت آيمي بمرح وزهو صديقتها كلير بأنها على موعد مع البستاني. فارتاحت هذه الأخيرة في سرّها لأن آيمي تخلّت عن المطاردة غير المجدية لجيمس.

تتمتع آيمي بشخصية مشرقة ينجذب إليها الناس بسهولة، فهي تتميز بشعرها الأشقر الهائج وبعينيها الزرقاوين. أمران يجعلانها تتمتع بجمال وفتنة فتاةٍ لعوب تأسر قلوب العديد من الرجال. على أي حال، من الأفضل لآيمي أن تخرج في مواعيد غرامية مع البستاني من أن تحلم بجيمس، زير النساء الفاحش الثراء.

- لا تقعي في غرام البستاني، فسيكون من الصعب أن تنتقلي بالطائرة من لندن إلى نيويورك ثلاث مرات في الأسبوع.

ردّت آيمي بصدق: «صدقيني، لا مجال لذلك!».

قد يتمتع رافاييل بمظهرٍ وسيم، لكن رفقته ليست سهلة كالأشخاص الذين اعتادت على رفقتهم. وجدت نفسها تحاول تفسير هذه الأحجية إلى أن قاطعتها كلير: «حسناً، حسناً! اتضحت الصورة لي! إذاً، لمَ ترغبين بتمضية الوقت مع شخص تجدينه صعب المراس؟ لست أفهم... هذا لا يشبه تصرفاتك المعتادة أبداً».

فكرت كلير أن هذا أمر مستغرب ومثير للفضول. تساءلت إن كان الخروج من مأزق ثم الدخول في الآخر أمر قد يفيد صديقتها بأي شكل. استخدمت آيمي الحجة نفسها التي قدمها لها رافاييل لتخرج معه، فقالت: «أفضل ألا أتواجد حالياً برفقة جيمس، فأنا أشعر أنني غبية تماماً. أفترض أنني صحوت على الحقيقة عندما رأيت الأمر بأم عيني».

تابعت تقول مفكرة: «حسناً! البستاني لا يرشح بالمرح. أعني، إنه لا يضحك إلاّ حينما يضحك مني أنا!».

علقت كلير مبتسمة: «لكنه وسيم...!».

- إنه ليس الصنف المفضل لدي من الرجال. فأنت تعلمين أنني أفضل أولئك المحبين للمرح...

عندما رفعت كلير أحد حاجبيها وابتسمت ابتسامة عريضة، تابعت آيمي بانزعاج: «... نعم، أفترض أن بعض الأشخاص يجدونه وسيماً... لكنه ليس لطيفاً محبباً. إنه في الواقع يشبه بلطفه القرش المفترس، لكنه يلفت أنظار النساء كثيراً عندما يخرج».

سألتها كلير باهتمام: «حسناً! لمَ تظنين أنه يأخذ نهار إجازة ليتجول معك في أرجاء نيويورك؟».

ردّت آيمي وهي تقطب حاجبيها: «ربما هو يشعر بالأسف حيالي، فقد بالغت بعض الشيء في التحدث عن قلبي المجروح».

إلا أنها لم تستطع حقاً التصديق أن رافاييل يشعر بالأسى تجاه أي شخص. عندئذٍ علقت كلير بصوت مسرحي: «أو ربما وقع أسير سحر وجاذبية آيمي الجميلة...».

شعرت آيمي أن الحرارة تتصاعد في داخلها بدءاً من أخمص قدميها صعوداً حتى وجنتيها، ثم اختفى الضحك من صوتها فوراً، وقالت متسرعة: «تلك فكرة سخيفة مضحكة!».

- يكنه يمضي نهاراً كاملاً برفقتك، على الرغم من أنه غير مجبر على ذلك.

- من يعلم ما الذي يعجب الرجل؟ من يهتم؟

قالت آيمي ذلك بانزعاج وهي تنظر إلى ساعة معصمها. أرادت الانصراف قبل أن ينزل جيمس لتناول الفطور، فهي لا ترغب بالرد على سلسلة أسئلة يطرحها حول مكان ذهابها أو حول من يرافقها.

استأذنت من صديقتها لتعود إلى غرفتها، حيث بقيت حوالى النصف ساعة، ثم خرجت متسللة من المنزل. ركضت باتجاه البوابات الخارجية على طول الطريق المخصص للسيارات، وهو طويل جداً كثير الالتفاف وصولاً حتى المدخل. فكرت أن ذلك هو سبب تسارع دقات قلبها لدى رؤيتها للسيارة الرياضية التي تنتظرها، فقد بذلت مجهوداً أثناء الركض.

٥ - مرحباً نيويورك!

سأل رافاييل آيمي حالما دخلت إلى السيارة: «ما الذي ترتدينه بحق السماء؟».

أخبرته آيمي: «الجينز. وصباح الخير لك أيضاً».

نظر رافاييل إلى بلوزة آيمي ذات القبة المنخفضة عند الظهر فأصدر صوتاً يدل على انزعاجه وقال: «إنها شديدة الانخفاض».

- وأنت تتصرف كما لو أنك والدي عندما تقول أشياء كهذه. هذا هو الطراز العصري.

- أحقاً؟ وهذا عصري بالنسبة إلى من...؟

- بالنسبة إلى كل شخصٍ تحت سن الثلاثين... لذلك أفترض أنه يخرجك من المعادلة...

فكرت آيمي، ها نحن مجدداً نتصرف كما لو أننا متبارزان نسدد لكمات سريعة إلى بعضنا البعض كلما تسنت لنا الفرصة المناسبة. أغمضت عينيها وتركت النسيم يتلاعب بشعرها وشعرت بالسرور والحماس.

فتحت عينيها قليلاً واسترقت نظرة إلى رافاييل؛ النظارتان السوداوان ما تزالان في مكانهما، وهو يمسك المقود بإحدى يديه، فيما استقرت اليد الأخرى بخفّة على علبة التروس. لم تكن آيمي لتظن أبداً أن بستانياً قد يبدو ملائماً في سيارة رياضية مكشوفة. لكن هذا الرجل يبدو كذلك.

قالت وهي تستجمع نفسها: «أنا لم أركَ حتى مرتدياً بنطلوناً من الجينز!».

- لأنني لا أمتلك واحداً.

- جميع الناس يمتلكون جينزاً!

تساءل ما ستكون عليه ردة فعل آيمي لو علمت أنه يمتلك حساباتٍ جارية لدى أفخر المتاجر في نيويورك، وأنه يستخدم شخصاً ليتسوق ملابسه وحاجياته الشخصية. ليس بحوزته أي بنطلون جينز، لأنه لم يشعر برغبة في امتلاك واحد. أما الثياب التي يرتديها في الأيام العادية، فقد تمت خياطتها يدوياً، والفارق الوحيد بينها وبين بذلات العمل هو أنها لا تتسم بالطابع الرسمي وأن قماشها أكثر ليونة.

استطاع رافاييل أن يتخيل التعبير الذي قد يبدو على وجه آيمي لو علمت ذلك. سوف تصاب بالذهول لكونه شخصاً يتبع أسلوب موضة قابعة في عصر ما قبل التاريخ، عصر الديناصورات...

ليس من عادة رافاييل أن يكترث لما يظنه الناس عنه، لكن بالرغم من هذا وجد نفسه يعبس لدى تصوره تلك الفكرة.

قالت آيمي بنزق: «هم... أنت لا تمتلك بنطلون جينز... ربما يستحسن أن نقوم ببعض التسوّق اليوم، كي لا تبدو كالعجوز الفاشل المضحك».

- أتظنين أنني أبدو كعجوز فاشل مضحك؟

فكّرت في قرارة نفسها: لا! قد لا يرتدي هذا الرجل الجينز العصري، لكنه آخر من قد يشبه العجوز الفاشل المضحك! شعرت بجفاف فمها وبتسارع في دقات قلبها. ما الذي يحدث معها؟

- كلا! كل ما في الأمر أنني أجد من المستغرب ألاّ تمتلك بنطلوناً من الجينز. أنا لا أريد أن أذهب للتسوق، على كل حال. كانت تلك مجرد مزحة. في الواقع، لا آبه لما ترتديه أو تمتلكه...

- أحقاً...؟

فكر رافاييل بالأمر الذي جعله يقرر الخروج اليوم. فهو يتقاعس عن آداء عمله ويتكاسل لأول مرة في حياته. في الواقع ما يرغب به هو أن تنسى

آيمي أمر جيمس نهائياً بعد مغادرتها لمنطقة الهامبتون. لذا تابع يقول: «يا له من أمر مخزٍ!».

- عفواً؟

ظنت آيمي أنها أساءت فهم ما قاله رافاييل. يا إلهي! أرسلت تلك الكلمة الصغيرة رعشة حماسٍ راحت تتسارع خلال جسدها، ولم تتمكن من فهم ما يجري.

قال رافاييل بنعومة: «ظننت أن كل النساء لديهن اهتمام بالتسوق».

- آه! نعم... لا!

تشدق رافاييل قائلاً: «أظن أن التسوق هو فكرة جيدة جداً. مهما يكن، لا يمكنك أن تزوري مانهاتن ولا تتسوقي».

لو أن الظروف مختلفة، لتدبر رافاييل مع سكرتيرته أن تأخذ استراحة لبضع ساعات من العمل، فتتجول مع آيمي في المتاجر الفاخرة في مانهاتن. لكن بما أنه لم يقم بذلك، فسيضطر إلى مرافقتها بنفسه. إلا أن المشكلة تكمن في أنه ليست لديه أدنى فكرة عن المكان الذي تقصده النساء للتسوق في هذه المدينة.

قالت آيمي وقد بدأت تتحضر للفكرة: «يمكنني أنا أن أشتري لك جينزاً».

علّق رافاييل قائلاً: «أنت فعلاً تعتقدين أنني بحاجة إلى جينز واحد على الأقل، ألست كذلك؟».

- حتماً! وربما قميص عصرية ملونة كذلك، عوضاً عن تلك القمصان الباهتة التي يبدو أنك تحب ارتداءها...

ابتسم رافاييل ابتسامة عريضة وتساءل ما الذي ستقوله آيمي لو أنها عرفت ثمن هذه القمصان «الباهتة الألوان»! فهذه القمصان مصنوعة يدوياً. من جهة أخرى، هو يتخلص كلّ ستة أشهر من عدد كبير منها، فيستبدلها بشبيهة لها.

- ذات رسومات تشبه قمصان هاواي... ربما؟

ألهت آيمي نفسها بتخيّل رافاييل مرتدياً ثياباً سخيفة مضحكة، وهو أمر يساعد على تهدئة إحساسها المتوتر القوي به. إحساس، ربما كان موجوداً منذ تعرّفها إليه، أو أنه تسلّل إليها على حين غرّة، وفي وقتٍ غير متوقع. تابعت تقول: «ربما شيء فضفاض عليه رسومات أزهار كبيرة الحجم مشرقة الألوان. إنه تغيير عن ذلك الأبيض الباهت الكئيب! الحسن الحظ أنك لا تعمل في مكتب، وإلاّ فإنك كنت ستمتلك العديد من البذلات الرسمية المقلّمة المثبتة بالأزرار، لتضيفها إلى مجموعتك من الملابس المملة».

فكّر رافاييل بسخرية أنه حقاً يمتلك حوالى الثلاثين من تلك البذلات «المملة».

قال بتكاسل: «ما رأيك بهذا الاتفاق؟ يمكنك أن تدفعيني إلى ارتداء ثياب عادية عصرية، بينما أجعلك أنا ترتدين كما يفترض بالمرأة أن ترتدي».

- كما يفترض بالمرأة أن ترتدي؟!

- وأنا سأدفع ثمن المشتريات كلها...

احمرّت وجنتا آيمي خجلاً: «لا مجال لذلك! ذلك، ببساطة، ليس أمراً صحيحاً. ما أعنيه أننا.. لسنا نخرج برفقة بعضنا كعشيقين... ليس لأن ذلك قد يحدث فرقاً... فأنا لا أؤمن بمبدأ أن يدفع الرجل ثمن كل شيء.

- آه! أتعنين أنك من ذلك الصنف من النساء، اللواتي يصرّن على تقاسم كل شيء مناصفة؟ ماذا لو كنت تواعدين رئيسك؟ هل كنت ستصرّين على التقاسم والمشاركة؟

- ذلك أمر مختلف!

- لماذا؟

- أعلم أن ما سأقوله سيجعلك تفكر أنني أتبع قوانين ملتوية، لكن جيمس يمتلك الكثير من المال. لو أنني أواعده، فأنا سأسمح له بسرور أن يدللني ويشتري لي بعض الأشياء. مهما يكن... أنا مفلسة لكن هو ليس كذلك. بينما أنا كنت سأرد له الجميل على طريقتي الخاصة.

اقشعرّ بدن آيمي لدى تصور فكرة أنها تواعد جيمس. سأل رافاييل بنبرة صوت مشدودة: «لِمَ لا توضحين لي الأمر؟».

فكرت آيمي ملياً بالسؤال، غافلة عن ملاحظة التغيير في نبرة صوت رافاييل، ثم أجابت: «يمكنني أن أطهو له وجبات خاصة مميزة... أو أشتري له أشياء.. هنالك دوماً أساليب للتعبير عن التقدير تجاه الآخر... أشياء لا يمكن أن تحسب بقيمتها المالية. أليس كذلك؟ أعني أن الرجل الغني قد يصرف من الأموال الطائلة على امرأة ما من غير أن يخطىء الهدف، في حين أن المرأة تستطيع تحمّل كلفة شيء صغير جداً بالمقارنة معه، لكنه يعني الكثير، أكثر مما يقدمه الرجل، لأنها مضطرة إلى توفير المال لتتحمل نفقة شراء هذا الغرض أصلاً».

- وأنت تظنين أن البستاني لا يمكن أن يتحمل تبذير المال من حين إلى آخر...

- ربما باستطاعتك ذلك. لكن، لِمَ يفترض بك أن تقوم بهذا؟ فأنت بالكاد تعرفني.

قال رافاييل برزانة وهيبة: «حصلت مؤخراً على علاوة كريمة جداً، فلِمَ لا تجاريني كي أرضي نزوتي هذه؟».

- حسناً! لكن من غير أية ارتباطات.

- أي نوع من الارتباطات؟

- أنت تعلم ما أتحدث عنه.

- هل أعلم؟ لِمَ لا تخبريني أنت؟

- إذا... أردت أن تشتري لي ثوباً لأنك لا تظنني أتمتع بالأنوثة الكافية...

- هل قلت أنا ذلك؟

- حسناً! لا. لكن...

- في الواقع أعتقد أنك تتمتعين بأنوثة لا تصدق.

احمرت وجنتاها خجلاً. فكر رافاييل أن نساء الأعمال القاسيات لا

تحمرّ وجناتهن خجلاً. قد تجرؤ آيمي على قول ما تفكر فيه بكل صراحة، لكنها ما زالت تخجل وتحمرّ كالمراهقات. قرّر أن ينقذها من الإحراج الذي تشعر به، فقال: «إذا رغبت أن تلبسيني الجينز، فأنا سألبسك تنورة».

استطاع رافاييل أن يكتشف في منطقة سوهو الواقعة بين لونغ آيلند ومانهاتن بعض المحال التجارية الجيدة. قرّر أن يتخطى في البداية الجزء المؤلم من الاتفاق، فتختار له آيمي الجينز أولاً.

ظهر رافاييل مختلفاً تماماً في الجينز، فبدا أصغر سناً وأكثر خطورة بشكله الجذاب. فكرت آيمي أنه يفترض برافاييل أن يرتدي الجينز دوماً مثلها، فهو يظهره جذاباً إلى حد بعيد. شعرت بشيء ما يتغير في أعماقها، وكأن إحدى قناعاتها تتبدل وتتخدر متحولة إلى أمر آخر. دفعت هذه الفكرة المكدّرة جانباً، ثم ركزت على تمضية نهارها بشكلٍ ممتع.

لاحظ رافاييل مستمتعاً أن آيمي تطرح الأسئلة عن كل مكان وعن كل شيء، وأدرك أنه كان مغمض العينين، بالكاد يلاحظ ما تتمتع به نيويورك من سحر وجمال، وأن هذه تجربة منعشة كي يرى الأمور من منظار مختلف ولو لمرة واحدة. سألته عند نقطة ما من حديثهما: «هل تتمنى لو أنك تعيش في نيويورك عوضاً عن العيش في ذلك المنزل الصغير الواقع على أرضٍ يملكها شخص آخر؟».

فكر رافاييل بشقته الرائعة، في الطابق الأعلى من مبنى مطل على سنترال بارك، وشعر بوخزة من الذنب في داخله، فبدّل الموضوع بسرعة. قال لآيمي بأنه آن الأوان لتتم النصف الآخر من صفقتهما، أي الجزء المتعلق بها، وبعد ذلك سيقوم باصطحابها إلى العشاء. أصرّت آيمي هذه المرة على أن تدفع هي الحساب

- لا أستطيع أن أتحمل نفقات اصطحابك إلى مطعم يليق بهذا الفستان...

قالت آيمي ذلك بارتياب، فالفستان الأحمر الأنيق ذو القبة المرتفعة، تفوح منه رائحة مكان فخم رائع جداً. أدركت آيمي ما إن ارتدت ذلك

الفستان أنها كانت عالقة في نمط حياتها غير المتكلف، فمهنة تقديم الطعام لا تتطلب التفكير بخصوص ما ترتديه، كما أنها لم تقصد أبداً أماكن تتطلب ارتداء فستان رسمي. أحسّت أن عيناها تغشيان بالدموع فيما خرجت من غرفة تبديل الملابس، لتعرض الفستان أمام رافاييل.

سألها رافاييل مشدوهاً، وهو يرفع وجهها إلى الأعلى: «ما الخطب؟».

- لا شيء.

أجابته آيمي بصوتٍ مرتجف، وما لبثت أن استعادت رباطة جأشها، فوضعت على وجهها ابتسامتها المرحة المعهودة.

- أظن أن ليس هنالك داعٍ لأن أجرّب أي شيء آخر. سآخذ هذا الفستان!

سألها رافاييل حالما خرجا من المحل التجاري: «ما الخطب إذاً؟».

تلك الومضة القصيرة بالخسارة التي أحسّت بها آيمي قد مرّت الآن، فقالت لرافاييل: «شعرت بالصدمة لدى رؤية نفسي مرتدية فستاناً، ما جعل العاطفة الجياشة تجتاحني».

ثم ضحكت وتابعت: «لطالما كنت الفتاة التي تشبه الصبيان في اللباس والتصرفات في عائلتنا. أخذت شقيقتاي تتزينان وتتبرّجان حالما بلغتا السادسة عشرة من عمريهما، بينما أنا لم أتخلّ أبداً عن الجينز».

استشعر رافاييل فجأة تبصّراً مدهشاً داخل آيمي. فارتداؤها لذلك الفستان جعلها تكتشف عالماً آخر، هو متأكدٌ تماماً بأنها قلّما تزوره. شعر برغبة مجنونة بأن يأخذها إلى مكانٍ فخم لتناول العشاء. في تلك اللحظة تذكر شقته والملابس الملائمة المتوفرة هناك بانتظاره.

قال لها من دون مقدمات: «علينا أن نجد مكاناً نبدّل فيه ملابسنا. سوف نختتم نهارنا بالذهاب إلى مكانٍ لائقٍ مرتب لنأكل».

- أتفعل هذا بهدف إنقاذي من صدمة مواجهة جيمس؟

تذكرت آيمي سؤال كلير في وقتٍ مبكر من هذا النهار، لماذا قرّر البستاني أن يضع نفسه بخدمتها ويصطحبها إلى مانهاتن؟ ماذا لو بدأت

تتراءى له الفكرة الخاطئة حولهما؟ قررت آيمي أن تصحّح تفكيره.

بدأت آيمي حديثها بشكل غريب: «كل هذه الأغراض».

- ما بها؟

- الفستان أولاً، والآن العشاء. آمل أنك لا تظن بأن...

قادها رافاييل باتجاه مقهى، فجلست آيمي ممتنة على الكرسي. لكن المشكلة الوحيدة الآن، هي أنها باتت مجبرة على النظر مباشرة إلى وجهه فيما هي تتحدث إليه.

وصل أحد النادلين لأخذ طلبهما، وقد بدا مفرط الحماس مبتهجاً، وهو يسجل طلبهما المتواضع لكوبين من القهوة.

انحنى رافاييل إلى الأمام وتابع مصغياً بكامل انتباهه إلى آيمي.

تنبهت آيمي بشكل مبهم، فتراجعت قليلاً إلى الوراء في محاولة لتنظيم أفكارها المبعثرة. ما الذي كانت تفكر فيه؟ سألها رافاييل باهتمام: «ماذا كنت تقولين...؟ هل أقدم لك المساعدة؟».

كأنه تعمّد أن يحرج آيمي أكثر فأكثر، فانحنى إلى الأمام، وقال: «أنت لا تريدينني أن أعتقد بأنني أشتريك، لأنني ابتعت لك فستاناً زهيد الثمن وشبتاً تأكلينه. أليس كذلك؟ أنا لست فقط ديناصوراً بعيداً عن الاتصال بالعالم الواقعي، لكنني برأيك شخص منغلقٌ عالقٌ في التفكير الذكوري التقليدي الذي يقدم العشاء مقابل علاقة غرامية».

- كلا! ليس هذا ما عنيته!

- بل هو كذلك!

التجأت آيمي إلى كوب القهوة فتناولت رشفة كبيرة. لماذا عساه دخل إلى مقهى؟ لم تكن مضطرة إلى مواجهة نظراته المباشرة من قبل.

- حسناً... ! لا يمكنك أن تلومني... أعني... من المنصف أن أكون صريحة منذ البداية. هكذا لن يحصل أي سوء تفاهم بيننا.

تساءلت آيمي مرتعبة كيف عساها تجرأت على تحذيرها الرجل بعدم الاقتراب منها، في حين أن الكثير من النساء مستعدات للارتماء في حضنه

لو سنحت لهن الفرصة. لا عجب أن التعبير البادي على وجه رافاييل بدا مليئاً بالاندهاش وعدم التصديق.

- ما الذي يجعلك تعتقدين أنك الصنف المفضل لدي من النساء؟

ازدادت خيبة آيمي عمقاً، في حين اعتقد رافاييل أنها احمرت خجلاً بشكل محبب جداً. افترض أن جيمس، على الأرجح، لم يرها إلا وهي مرتدية زي العمل، وهو أبعد ما يكون عن الجاذبية. مع ذلك استغرب أن يفوت أخوه ملاحظة هذه المرأة الجذابة المختبئة خلف زي العمل.

ردت آيمي مفكرة: «أنا لست من الصنف المفضل لديك من النساء، كما انك لست من الصنف المفضل لدي من الرجال. كل ما في الأمر، أنني لا أرغب بحصول أي سوء تفاهم بيننا».

سألها رافاييل: «وما هو الصنف المفضل لديك؟ أفترض أنه جيمس. أليس كذلك».

أدركت آيمي أمراً فظيعاً في تلك اللحظة: جيمس ليس الصنف المفضل لديها من الرجال، بالرغم من أنها اعتقدت عكس ذلك. لكنها ارتاحت إلى جيمس لأنه شاب يتمتع بموهبة الثرثرة والكلام المنمق، كما أنه لا يأخذ الحياة على محمل الجد.

لو قيل لآيمي بأنها ستنتهي يوماً ما بالانجذاب إلى رجلٍ بالكاد يبدو الابتسام على وجهه، وهو لا يعرف الضحك ولا يمتلك بنطلون جينز، وربما يمتلك مجموعة من الإسطوانات التي قد تكره الاستماع إليها، لضحكت إلى حد البكاء.

جميع الأصدقاء الذين واعدتهم كانوا ذوي شعر أشقر، بحق السماء! فأصبح هذا الأمر موضوع سخرية ومزاح في عائلتها. ... فكيف تجرأ هذا الرجل القوي البنية الأسود الشعر على التسلل خفية، ثم الدخول إلى أعماقها والتأثير فيها؟

كانت آيمي ما تزال تتمايل بفعل الصدمة التي ألّمت بها، إنها لم تنجذب فقط إلى رجل ليس من الصنف الذي يعجبها، إنما برهن هذا الرجل أيضاً

www.elromancia.com

أنه الأكثر خطورة عليها، لأنه تمكن من التأثير فيها كما لم يفعل أي رجلٍ آخر طيلة حياتها.

- هذا صحيح. جيمس هو الصنف المفضل لدي...

كيف، بحق السماء، أمكنها أن تنجذب إلى رجلٍ يفهمها بالطريقة الخاطئة معظم الأوقات؟ رجل يبدو أنه يستمتع بالضحك عليها خفية؟

إن رافاييل جذاب إلى حد يثير فيها الإحساس بالذنب والخطيئة. كيف تراها افترضت أنها مصانة ضدّه، لمجرد أن مقاييسها لا تنطبق عليه؟ تابعت تقول: «لطالما جذبني الرجل ذو الشعر الأشقر الجميل. أما أنت، أراهن على أنك...».

حاولت آيمي أن تبدو مستغرقة في التفكير وصادقة في الوقت نفسه، فتظاهرت بتدقيق النظر فيه. آه! كم هو فظيع هذا الضياع، إنها تكاد تتوه في الملامح الرجولية لذاك الوجه الأسمر. إنه شخص كامل الرجولة وهو بغنى عن استخدام هلام تثبيت الشعر، أو حتى العطور الثمينة. أدركت آيمي أنها أضاعت مغزى ما تريد قوله في خضمّ تفحّصها لوجه رافاييل، فسعَلَت لتنقية حلقها، لتتابع قائلة: «أنت تفضّل السمراوات. نعم، السمراوات اللواتي يخرجن بكثرة من المنزل، يمارسن رياضة تسلّق الجبال سيراً على الأقدام، أو التسابق ركضاً في ماراتون طويل المسافة... أولئك اللواتي يعتقدن أن التبرج خطيئة في حق الطبيعة».

ضحكت آيمي، على الرغم من أنها شعرت بقلبها يخفق بقوة، في حين تشرّبت عيناها كل تفصيل من ملامح وجهه لتكون مرجعاً لها في المستقبل.

- جيمس لا يتمتع بسمعة جيدة مع النساء...

فلطالما تصدّرت صوره صفحات الصحافة الصفراء حيث أعمدة الإشاعات والثرثرة، وحيث تظهر برفقته كل مرة فتاة فاتنة شقراء طويلة. الآن فقط أدركت آيمي لما لم يزعجها من هذا الأمر من قبل. فالحقيقة هي أنه لم يؤثر فيها حقاً، على عكس هذا الرجل الآن.

ألحّ رافاييل متابعاً: «ألا يزعجك ذلك؟».

- آه! حسناً... أرى الأمر بهذا الشكل: جيمس يخرج برفقة نماذج متماثلة، فجميعهنّ طويلات القامة، شقراوات ويشبهن عارضات الأزياء على غلاف مجلة ڤوغ، لذا ربما أعجبه لأنني متميزة عنهنّ...

في الواقع هذه النظرية طرأت لها الآن للتو، لكن بعد أن تمعنت فيها بدت منطقية نوعاً ما.

تابعت نظريتها مستفيضة: «أعني... فكر بالموضوع... من المحتمل أن يصعق ويقع مشدوهاً لدى رؤية امرأة تتميز بطبع مختلف عن أولئك، فضلاً عن أنها لا تشبه العارضات على غلاف المجلات مطلقاً...».

يصعق ويقع مشدوهاً...!

شعر رافاييل بصدمة قوية بسبب دلالة جملة آيمي العابرة. لم يعلم إن كانت قد جاءت خصيصاً إلى الهامبتون لكي تطبق هذه النظرية، ثم خرجت عن مسارها عندما وجدت جيمس برفقة امرأة غيرها. في الحالتين، يبدو أنها خططت لذلك بانتظار أن تهبَّ الرياح كما تشتهي السفن، فتسنح لها الفرصة المناسبة. شعر بشيء ما ينتفض في أعماقه. صحيح أن جيمس شخص راشد ويمكنه الاعتناء بنفسه، لكن رافاييل شعر بشيء من العزم الذي أخذ يتحرك متبلوراً في داخله. لقد جاء إلى الهامبتون في مهمةٍ محددة لرعاية أخيه الأصغر، يجب أن تُبْعَدَ آيمي عن جيمس، وأن تظل بعيدة دوماً.

استأذن رافاييل ما إن ارتجَّ هاتفه الخلوي، فتحيَّن الفرصة ليدفع الفاتورة عند منضدة المحاسبة، ثم أطبق الهاتف فأقفله، وعاد باتجاه آيمي.

وقفت آيمي وقد بدت على وجهها ابتسامة مفرطة الإشراق والزهو. وقالت لرافاييل: «لا تقل لي... إنه رئيسك يتصل ليتأكد من أنك ستعود إلى العمل غداً، خشية أن تغيّر رأيك بسبب هذه الأشياء الرائعة التي تراها في مانهاتن».

تمتم رافاييل شيئاً قد يكون عنى به الموافقة، ثم قال بنبرة جدية: «آه! أعتقد أن جيمس يدرك كم أنا موظف وفيّ».

ثم تابع كلامه وهما يتوجهان إلى الخارج مباشرة: «أخبرته أن الوقت داهمنا، فعرض علينا بلطف شديد أن نستخدم الشقة الخاصة بالشركة، إذا ما رغبنا بتبديل ملابسنا قبل الخروج لتناول العشاء الليلة».

حسناً! لقد أظهر هذا النهار حتماً وجهاً من شخصية رافاييل لم يكتشفه أبداً من قبل. إنها المرة الأولى التي يحتل فيها العمل المرتبة الأقل أهمية بالنسبة إليه، أما الآن فإنه ينوي رسم خطة للتقرب من آيمي. هذه المرأة التي صرّحت بوضوح مطلق أنها لا تجده جذاباً.

أدرك رافاييل كم كانت حياته سهلة وبسيطة في السابق. لطالما تعرّف على النساء بسهولة، إما بواسطة الأصدقاء أم من خلال عمله. لم يضطر أبداً إلى بذل مجهودٍ لإنجاح علاقاته، وهو لم يجبر على ملاحقة امرأة وإقناعها بإقامة علاقة معه.

شعر بحماس غريب يجري في داخله، سبّبه هذا التحدي باستكشاف حدود غير معروفة. إنه نوعاً ما يشبه التشويق الذي ينتابه لدى بداية صفقة جديدة معقدة. على الرغم من أن رافاييل لم يكن معتاداً على رؤية المرأة من خلال هذا المنظار، لكنه لم يستطع منع ذلك الدفع البدائي للأدرينالين، الذي أخذ يضخُّ في جسده.

أدرك فجأة أنه لم يسمع شيئاً مما قالته آيمي له، فسأل: «ماذا؟».

كررت آيمي ببطءٍ شديد: «قلت... أظن أنه يفترض بنا أن نعود إلى المنزل. إنه... من غير اللائق بالنسبة لي أن أغادر الحفلة، في حين تم ترتيب كل شيء خصيصاً لنا... بالطبع ليس خصيصاً لأجلي، لكن لجميعنا نحن الموجودين هنا. لا تعتبر أنني غير ممتنة على اصطحابك لي لكن...».

- لكنك خائفة...!

تجمدت آيمي وحملقت في رافاييل واضعة يديها على وركيها، قائلة: «خائفة... مم؟».

تابع رافاييل سيره، لكنه الآن استدار نحوها ومشى ببطء عائداً نحوها.

- من ارتداء ذاك الفستان الذي اشتريته لك...

أصاب رافاييل تماماً، فالجملة التي قالها الآن حققت المطلوب. انفجرت آيمي ضاحكة، وقالت: «أود أن ألبس الفستان... أنا لا أرتدي الفساتين أبداً، لكن صدقني لست خائفة من وضع ذلك الفستان على جسدي، لمجرد أنني اعتدت على ارتداء الجينز!».

ردّ رافاييل ببرودة ولا مبالاة، وهو يحمل الأكياس المتنوعة في إحدى يديه: «لا أصدقك! هل تشعرين بأنك ستخرجين عن طبيعتك لو ذهبت إلى مطعم نيويوركي متميز؟».

ردّت آيمي بكلام لاذع وقد جرح كلامه مشاعرها، فقالت: «أتظن هذا لمجرد أنني إنسانة فقيرة، بسيطة وغير معروفة، من الجانب الآخر للمحيط الأطلسي؟ أليس هذا نوعاً من الازدراء والتباهي؟».

- آه! نيويورك هي موطني. فضلاً عن أنك أشرتِ مسبقاً إلى أنني أتمتع بذوق رفيع، بغض النظر عن مهنتي. ستكتشفين أن ارتداء الملابس المناسبة هنا في نيويورك، هو جواز مرورك إلى أي مكان.

- آه! وأنت ستكون ملائماً جداً بارتدائك الجينز، أو ذلك البنطلون القصير الذي تلبسه الآن!

- لا مشكلة. سأشتري شيئاً لائقاً ومناسباً.

- أبهذه البساطة؟

فرقعت آيمي إبهامها على أناملها، ثم تساءلت لأول مرة عن ذلك النبع الذي لا ينضب من الأموال التي ما انفك رافاييل يغرف منه.

ردّ رافاييل موافقاً: «بهذه البساطة».

هو لم يأبه للمال يوماً، فهو يربح الكثير منه، لذا لم يجبر على الاقتصاد من أية ناحية مطلقاً.

- قبل أن ترفضي عرضي من غير أن تسمعي ما لدي لأقوله، اعلمي أن الشقة الخاصة بالشركة لا تستخدم في الوقت الحالي. أنا لا أشتريك بالمال، لكن الوقت أصبح متأخراً. كذلك يمكننا أن نتناول شيئاً ما بسرعة هنا، ويمكنك ارتداء فستانك. إلاّ إذا فضّلت أن تعودي باكراً إلى المنزل، ثم

تتناولين المشروب لتبعدي الأحزان عن تفكيرك فوق طاولة روليت مؤقتة...!

انتبهت آيمي أن رافاييل يقوم بتأدية خدمة لها... بإخراجها من قوقعتها، كذلك أدركت أنها لا ترغب مطلقاً بإعطائه أي تلميح حول العاصفة المتأججة في داخلها، والتي لا علاقة لها مطلقاً بجيمس، لذلك فكرت بعرضه جدياً.

إذا أرادت حقاً أن تداوي قلبها المجروح، فيجب عليها إبعاد تفكيرها عما يؤلمها، من خلال تمضية وقت ممتع، ثم التأنق والخروج في موعدٍ ما. فضلاً عن ذلك فرافاييل اشترى لها ذاك الفستان الأحمر، لذلك بدا لها من الفظاظة أن ترفض عرضه لتناول العشاء. كل ما تعرفه عن رافاييل أنه بالكاد يخرج من المنزل، وفكرت بأنها تسدي له خدمة بقبولها دعوته تلك.

فكرت بنفاد صبر يمازجه شعور بالذنب، أنها تود بالفعل تمضية الوقت برفقته. آه! إن علاقتهما لن تؤدي إلى أي مكان، كما أنها لن ترغب بها، فبغض النظر عن حاجز البعد بينهما - أي المحيط الأطلسي - فإن علاقتها برافاييل لا يمكن أن تستمر. إنه يمتلك روحاً محبة للحرية، وليست لديه أية ارتباطات، وهو لا يرغب بأيٍّ منها. هذا هو الانطباع الذي تركه لديها، لكن لا بأس بذلك، فهي لا تبحث عن علاقة عاطفية على كل حال. كل ما يهمها هو بعض المرح، وذلك الشعور الرائع الذي ينتابها عندما تنظر إليه.

هزّت آيمي كتفيها وأومأت موافقة، ثم قالت: «لا أصدق كم تحظى بمميزات تترافق مع مهنتك».

ثم تابعت مغيظة: «شقة للشركة، ومنزلٌ رائع للشركة على أرضٍ واسعة خلابة، فيما أنت لا تقوم بتأدية الكثير من العمل كما يبدو لي...».

ضحك رافاييل ونظر باتجاه آيمي بتقدير واستمتاع. كانت الشمس قد تركت آثارها على بشرتها، فحولتها إلى لون ذهبي خفيف رائع، فيما

وشّحت شعرها الباهت أصلاً بتدرجات لونٍ أفتح من ذي قبل.

أخذت آيمي تسأل رافاييل الآن عن عدد المرات التي استخدم فيها شقة الشركة، ثم بدأت تمازحه حول رغبتها بأن تكون تحت تصرفها شقة مماثلة، لكن ربما في مكان دافىء ومشمس كجزر الكاريبي.

قال رافاييل بصدق: «أعتقد أنني بقيت في الشقة مرة منذ بضع سنوات».

- لكن ألديك مفتاحٌ؟

- هنالك بوابٌ في المبنى، وأتوقع أن جيمس سيتصل به لينبئه بقدومي.

- إذاً لنذهب إلى هناك بكل بساطة، فنستخدم المكان ثم نختفي ونذهب لتناول العشاء؟

- هنالك إمكانية لقضاء الليلة هناك أيضاً.

قال رافاييل ذلك بشكل عابر، واستطاع أن يشعر بتوترها. مجدداً شعر بذلك الحماس البدائي المفاجىء، فأحسَّ الجزء المتحضّر فيه بالاشمئزاز من ردّة فعله هذه. أين هو بحق الجحيم ذاك الرجل المهذب، المتميز، المحب للأوبرا والمسرح، الآن؟ فكر رافاييل متسائلاً.

أثناء الطريق أدار الحديث فأعاده إلى مواضيع آمنة لا تكشف أموراً مخفية، ما جعل بال آيمي يهدأ. عندما وصلا أخيراً إلى المبنى السكني حيث تقع الشقة، لم تشعر آيمي بأي توتر أو انزعاج يكدّرانها.

قالت لنفسها لِمَ عساها تتوتر؟ صحيح أنها أُخذت على حين غرّة، لكن انجذابها إلى رافاييل ليس جريمة. سوف تتوجه عائدة إلى لندن خلال يومين، وعندها سيصبح ذلك البستاني الذي لا يشبه أبداً أي بستاني التقته قبلاً في حياتها ذكرى جميلة.

٦ - لست مثلهن!

سمعت آيمي نفسها تتلعثم بالكلام، فهذا ما يحصل معها عادة بعد سهرة طويلة وعشاء فاخر يقودانها إلى الشعور بالاسترخاء. فهي تبدأ باستيداع أسرارها برضى وانفتاح أي صديق يصادف وجوده مستمتعاً إلى جانبها.

إلا أن رافاييل ڤايڤس ليس صديقها، وهي ليست متأكدة تماماً ما هو بالنسبة إليها، لكنه حتماً ليس صديقها. بالإضافة إلى أنه اشترى لها ذلك الفستان الرائع الذي يعطيها شعوراً مميزاً، وها هو الآن يبذر المزيد من المال من أجلها في مطعم أنيق راقٍ.

- أنت بحاجة إلى الخروج أكثر مما تفعل.

- لِمَ تقولين ذلك؟

- هذا المجهود الذي تبذله لأجل شخص غريب مثلي...

انحنت إلى الأمام وركزت جاهدة ليبدو أن ما تقوله جيداً: «... لم تكن مضطراً لاصطحابي في هذه الجولة لارتياد المعالم السياحية في نيويورك... التفاحة الكبرى...».

عبست آيمي وتابعت: «من أين أتى هذا التعبير الآن؟ التفاحة الكبرى.. أمر مضحك حقاً...!».

أسندت ذقنها على كفّ إحدى يديها ونظرت إلى رافاييل مفكرة. إنها تتزين منذ ساعتين تقريباً، في مقهى شعبي وسط مدينة مانهاتن.

كانت آيمي قد ارتدت فستانها الأحمر ذا القماش الرقيق الرائع، فشعرت بأنها جذابة وجميلة جداً، بينما ارتدى رافاييل ثياباً اشتراها خلال خمس ثوانٍ في طريق عودتهما إلى شقة جيمس. تساءلت لاحقاً كيف لهذا التسوق

السريع أن يعطي نتيجة مذهلة كهذه؟

إن البنطلون الأسود مع القميص البيضاء والسترة الغامقة اللون، هي من نوع الثياب التي تعتبرها آيمي مملة ومضحكة على أي رجل، لكن رافاييل بدا رائعاً جداً بتلك الثياب.

في الشقة، لم يكن الأمر سيئاً حقاً، بالرغم من شدة إحساسها بوجوده طيلة فترة مكوثهما هناك. بدت الشقة ضخمة جداً، وعندما ظهر رافاييل مستعداً بكامل أناقته، بدا قلبها يخفق بسرعة جنونية. في تلك اللحظة تماماً، لم يعد رافاييل مجرد بستاني، بل تحول إلى شخص آخر متميز.

أرادت الآن أن تستعيد سيطرتها على نفسها فلا تقوم بتصرف لا يليق بسيدة محترمة.

قال رافاييل مستمتعاً: «بل هو ممتع!».

- ما هو؟

- لا عليك. ماذا كنت تقولين بخصوص أصحابك لرؤية معالم نيويورك؟

عجب رافاييل من نفسه لأنه يجد هذه المرأة المرحة التي تتصرف على سجيتها شديدة الجاذبية، إذ لطالما فكر في ما مضى أن هذا الأمر كريه. انتشر شعرها بعشوائية حول وجهها، ومن المرجح أنها لا ترغب في أن يبدو كذلك. راحت آيمي تنظر إلى رافاييل بجدية كبرى، فشكك أنها في الواقع تحاول تنظيم أفكارها. شعر بالسرور وهو يتأمل وجهها صامتاً، فقد بدا له عبوسها أخاذاً جداً.

- نعم، صحيح. لماذا فعلت ذلك؟ لم تقل لي حقاً.

هزّ رافاييل كتفيه وقال: «لماذا وافقتِ؟ لم تقولي لي حقاً».

- أكره أسلوبك عندما تفعل ذلك، فأنت تجيب عن سؤالي بسؤال. ذلك أمر فظ. تقول أمي إنه إذا طرح عليك سؤال، فمن اللائق أن ترد عليه.

- سمعت الكثير حتى الآن عن والدتك، وأرغب بالتعرف إليها.

www.elromancia.com

- إنها نصف إيرلندية، وقد تأكلك حياً!

لم يستطع رافاييل مقاومة إطلاق ضحكة منخفضة».

فكر رافاييل أن هذه المرأة أن يمكنها توقع جيمس في شباكها بسهولة تامة، إنها أبعد ما تكون عن أولئك الشقراوات السخيفات، فقد أخطأ بتصوره لها كذلك في البداية. إنها في الواقع تتشارك مع والدتها في شهيتها لأكل اللحوم، لأنها كانت لتأكل جيمس حياً.! بالرغم من خبرة جيمس مع الجنس الآخر، لكان أصبح كالعجينة الطيعة بين يدي آيمي، لو سنحت لها الفرصة بأن تضع يديها عليه.

قال رافاييل لآيمي: «لقد شعرت بالأسى لأجلك. فارتكابك خطأ الوقوع في غرام المدير ليس جريمة... ربما حماقة.. نعم، لكنه ليس جريمة. تصورت أنه من غير الممتع أن يصادف اكتشافك لحماقتك فيما أنت عالقة في بلدٍ غريب، لذا بدت لي مانهاتن العلاج الشافي».

حاولت آيمي أن تغربل كلمات رافاييل، مشككة ومدركة أن أغلبها ليست إطراءً لها.

- لماذا تعتبرها حماقة؟

قالت آيمي بكلمات لاذعة، متزعجة من نفسها لأنها تحدق في رجل يعتقد أنها حمقاء.

- لأن المدراء قلّما يلاحظون من هم أدنى منهم مرتبة.

قال رافاييل ذلك بثقة، فهو نفسه ليست لديه أدنى فكرة قطعاً عن المرأة التي تقوم بتقديم الطعام في الشركة هنا. حتى إنه لا يعرف إن كانت امرأة أم رجلاً.

حاولت آيمي إخفاء ضحكتها، وقد استشعرت أن الفرصة مؤاتية تماماً لترد لرافاييل إهانته، فقالت: «آه! صحيح. أنت تتحدث من خلال تجربتك المرّة، أليس كذلك؟ هل أنت منجذب إلى رئيسك؟ أهذا سبب كونك محبوساً في حديقته عوضاً عن السكن في منزلٍ خاصٍ بك؟ بإمكانك أن تكون متزوجاً الآن ولك ولدان، وتهتم بحديقتك الخاصة».

استغرق رافاييل بضع ثوانٍ حتى تشرب ما قالته آيمي من كلام. بعدئذٍ لم يعدقادراً على التحكم بنفسه، فأخذ يضحك ويضحك إلى أن بدأ وجهه يؤلمه، وبدأ الناس في المطعم يحدقون إليه بفضول متسائلين إن كان على ما يرام، فيما كادت الدموع تتدحرج نزولاً على خديه. أخيراً، عندما خمد ضحكه، خاطر بالنظر إلى آيمي، فبدأ يضحك من جديد لدى رؤيته التعابير البادية على وجهها.

انتظرت آيمي حتى انتهى تماماً، فردت عليه وهي ترمقه بنظرة دونية، محاولة تجاهل جاذبيته التي ازدادت مع انفجاره بالضحك: «لا أدري ما الذي تجده مضحكاً إلى هذا الحد. من المستغرب جداً أن رجلاً مثلك ما زال يعيش في منزل لا يملكه، ويعتني بحديقة شخصٍ آخر».

- رجلٌ مثلي؟

بدا رافاييل كأنه سوف يستسلم إلى نوبة جديدة من الضحك الخارج عن سيطرته، لذلك قالت مدافعة: «العديد من الأشخاص يقعون بغرام رؤسائهم. السكرتيرات العديمات المبادىء يهربن دوماً برفقة الرجال اللواتي يعملن لأجلهم».

- هل تقولين بأنك عديمة المبادىء؟

- أنا أقول إن ليس من المستغرب أن تقع المرأة في غرام الرجل الذي يصادف أنها تعمل لديه.

- أنت لست سكرتيرة جيمس.

تابع رافاييل مضيفاً في سره: «حمداً لله!».

فقد تصورها منحنية فوق مكتبه، وجسمها الرشيق قريب جداً منه فيما هي تنظر إليه وشعرها الأشقر الأجعد يتساقط على وجهها. لا بد أنها ستبدو فتية مفعمة بالأنوثة وفاتنة في الوقت نفسه، نوعاً ما كما تبدو الآن بالذات...

ردّت آيمي بشكل لاذع: «أدرك ذلك. رآه! لست أدري لِما أجري هذا الحديث معك! أنت لن تفهم أبداً».

- ألأنني لست مديراً؟

- حسناً! لكنك مديرٌ...

- لكن ليس بين العاملات لدي فتيات صغيرات جذابات...

أتراه يشير إليها على أنها جذابة؟ واحمرت وجنتاها خجلاً.

- وإذا ما كنَّ كذلك، حتماً لكنت سأنجذب إلى إحداهنَّ، أليس كذلك؟ أنت تعتقدين بأنني ديناصور، لكنني لست كذلك فعلاً...

- أنا لم أقل إنك كذلك... كنت فقط أدافع عن... مشاعري تجاه جيمس. نعم، جنون... نعم، حماقة... لكن، لا! ليس الأمر غير اعتيادي إلى هذا الحد.

- أتعنين المشاعر التي كنت تكنينها لجيمس؟

- حسناً! الأمر حقاً لا يعنيك. هل أنا محقة رافاييل؟ أنت لا تنفك تعود إلى هذا الموضوع. لماذا أنت مهتم إلى هذا الحد سواء كنت ألاحق رئيسك أم لا، على كل حال؟

- إنه بعيد عن منالك.

عادت آيمي فجأة من أفكارها المشتتة الشاردة، فنظرت إلى رافاييل مصدومة، وقالت له ببطء: «الآن... هذا أسلوب قديم جداً للتفكير. وأظن بأن من الأفضل أن نذهب الآن، إذا كنا نود الوصول سالمين إلى المنزل الليلة».

دفع رافاييل الفاتورة من غير أن يجادلها، لكن حالما وطأ خارج المطعم، استدار نحوها وقال بفظاظة: «هيا... أكملي! أفرغي ما في جعبتك».

ردت آيمي من غير أن تزعج نفسها بالتظاهر بأنها لا تدري عمّا يتحدث رافاييل: «ظننت الليلة أنني ربما أخطأت في حكمي عليك، ظننت أنك ربما... فقط ربما، لست مغروراً إلى هذا الحد و... حسناً...! لكنني كنت مخطئة».

- ألأنني قلت لك بأن جيمس بعيد عن منالك؟

لوّح رافاييل إلى سيارة أجرة صفراء، فسمحت آيمي له أن يدخلها إلى

السيارة. كان الوقت متأخراً، وحركة المرور أقل مما كانت عليه لدى ذهابهما إلى الشقة في المرة الأولى.

سوف يعودان إلى الشقة لأخذ ملابسهما والعودة بالسيارة التي تركها رافاييل هناك. قد يكون رئيس رافاييل كريماً، لكنها لم تعتقد أن كرمه قد يصل إلى حد السماح لمستخدمه بالتخييم إلى ما لا نهاية في شقة الشركة الفاخرة المريحة. أمرٌ ذكر آيمي مباشرة بجيمس وبملاحظة رافاييل.

قالت ببرودة: «أمن خبرتك المحدودة لرئيسك، تقول بأنه مغرورٌ صعبُ المنال؟».

- أنت كثيرة الجدل، وأنا لا أعجب بالنساء اللواتي يفعلن ذلك.

قال رافاييل ذلك مستديراً نحوها، فيما بدت عيناه قاسيتين كحجر الصوان.

- وأنا لا أعجب بالرجال الذين يبنون حياتهم على التعميمات. لذا، ها نحن متساويان. إننا لسنا معجبين ببعضنا.

تمتم رافاييل من تحت أنفاسه: «أنت تبدين كالهرة الصغيرة، لكنك تملكين مخالب نمر».

افترضت آيمي أن ما يقوله رافاييل هو نوع من الإهانات، على الرغم من أنها لم تفهم تماماً ما يعنيه، فتابعت الحملقة في وجهه.

- ما الذي قلته؟

سألته وقد بدا الاتهام في نبرة صوتها!

- أرفض أن أجري حديثاً معك حتى تهدأي.

- آه، بحق السماء! هل أنت جدي؟ ألا تدرك أن التعبير عن الذات هو أحد أهم الأساليب لتصفية الأجواء؟

- أنا لا أجد النساء اللواتي يصرخن جذابات، فذلك يبرهن افتقارهن للسيطرة على الذات.

- أي صنف من النساء تخرج برفقتهن؟ سألت آيمي بسذاجة.

أخرج مع النساء اللواتي لا يتصرفن بشكل هستيري.

شعر رافاييل بشيء من الحماس والاستمتاع فيما راقب آيمي وهي تصر بأسنانها بصمت لبضعة ثوانٍ. أومأت برأسها، وبدا من الواضح أنها أدركت ما قاله للتو.

- آه! نعم. اضطررت إلى التفكير لوهلة. معظم النساء اللواتي أعرفهنَّ يعتقدن، في الواقع، أن من الجيد أن يعبّرن عن مشاعرهن، لكنني الآن أرى أن النساء اللواتي تتحدث عنهن أنت، هن من الصنف الممل. لقد تعرفت على بعض منهنَّ في زماني، إنهنَّ دوماً يعبسن من خلف نظاراتهن الكبيرة، إذا ما سمعنك تضحك بصوت مرتفع في مكان عام، أو يقمن بتوجيه ملاحظات مهينة تنتقص من قدر «شباب اليوم».

قالت آيمي ذلك محاولة إخفاء ضحكتها. أشاح رافاييل بنظره بعيداً عنها ليتجنب خطر الانفجار بالضحك، وبعد أن سيطر على هذا الدافع أخذ يحدق فيها بهدوء من غير تعاطف. قال لها من غير أن تبدو عليه أي ومضة استمتاع: «أنا لم أقل بأنني كنت أواعد نساءً متخلفات».

- حسناً! حتى لو لم تطلعني على الحقيقة، فأنا لن أموت غيظاً!

مع ذلك، لكم رغبت أن تسأله: لكن ما هو صنف النساء اللواتي تواعدهن؟ وكيف يبدونَ؟ وأين بحق السماء تتعرف بهنَّ؟

ثم خطر لها أن رافاييل يتعرف على النساء من خلال جيمس. بالطبع! لمَ لم تفكر بالأمر من قبل؟ لا عجب أنه لا يبدو كأي بستاني عادي! إنه حتماً متميز عن البقية، ثم أنه لن يواجه مشكلة في جذب النساء الفائقات الثراء المملات كونه يتمتع بهذا المظهر الجذاب!

- أنت تقعين في غرام الرجال غير الملائمين، كما تتسلقين الأشجار في منتصف الليل، كما أنك تقولين كل ما يخطر في بالك تماماً ولا تأبهين للعواقب، لذلك من المنصف أن نقول بأنك من الصنف الذي يغضب بسرعة.

قالت آيمي بتغطرس: «لن أزعج نفسي حتى بالدفاع عن نفسي، فأنت لديك آراؤك الخاصة، ولك الحرية في أن تقولها».

استرقت آيمي نظرة إلى رافاييل، فتراءت لها فجأة صورته مستلقياً في سريره ذاك، برفقة إحدى أولئك النساء. رفعت رأسها بسرعة، وأبعدت نظراتها عنه، ثم قالت: «أنت لا تعني شيئاً بالنسبة لي على كل حال».

كانت سيارة الأجرة قد وصلت أمام المبنى الذي تقع فيه شقة رافاييل، ما جعل آيمي تستدرك أمرين. الأول هو أنها لم تشعر حتى بمرور الوقت فيما كانت منغمسة في عراكها الكلامي مع رافاييل، أما الأمر الآخر فهو أنهما لم يقررا ما سيحصل بخصوص عودتهما إلى الهامبتون.

استدار رافاييل نحو آيمي فيما استقرت إحدى يديه على مقبض الباب، فقال لها وكأنه قرأ أفكارها، من غير أن يزعج نفسه بتهوين الأمر عليها: «لقد أصبح الوقت متأخراً جداً الآن، ولن نتمكن من العودة إلى المنزل الليلة. آسف».

قذفت آيمي نفسها خارج السيارة ثم عدّت في سرها حتى العشرة، ومشت إلى حيث كان يقف رافاييل. لاحظت أنه ما زال يتصرف بنبلٍ، حيث دفع أجرة السائق من غير أن يطلب منها أن تدفع حصتها من كلفة الرحلة. ،فابتسمت آيمي بلطف تجاهه. ردّ رافاييل الابتسامة لها، وتحدث قبل أن تسنح لها الفرصة للكلام، فقال: «حسناً فعلتِ. تهانيَّ».

- ما الذي تتحدث عنه؟

مشت آيمي بخطى رشيقة خلفه إلى داخل المبنى. كانت قدماها قد بدأتا تؤلمانها بعد أن قضت سهرة طويلة في الخارج منتعلة حذاءها الجديد، لذلك خلعته وحملته في إحدى يديها، وبالتالي أنقصت المزيد من طولها بالمقارنة مع رافاييل.

ردّ رافاييل موافقاً: «لقد قاومتِ رغبتك في توبيخي بصوت مرتفع. ربما مع مرور الوقت أستطيع أن أحولك إلى إحدى هؤلاء النساء المملات اللواتي لا يستسلمن إلى كل رغبة عابرة في الخروج عن طورهنَّ».

قالت آيمي بخشونة وفظاظة: «حسناً! الحمد لله إن الوقت ليس إلى جانبك، لأنني لا أستطيع التفكير بأي أمرٍ أكثر سوءاً... باستثناء المكوث

في هذه الشقة هذه الليلة. إنه أمر مستحيل».

- لا خيار لدينا.

قال رافاييل ذلك من دون أن ينظر إليها، لكنه كان مدركاً بشدة لوجودها إلى جانبه.

- بالطبع هنالك خيارٌ آخر.

دخلا إلى المصعد ليصعدا الطوابق الثلاثة نحو الشقة.

- نعم، أنت محقة بالطبع.

توقف المصعد فجأة، وانزلقت الأبواب وفتحت بهدوء.

- أنا مسرورة لأنك توافقني الرأي.

اعترفت آيمي لنفسها أن من المفاجىء نوعاً ما أن تكسب النقاش بهذه السهولة، من غير أن تثير جلبة.

- إن الخيار بيدك: يمكنك إما البقاء هنا إما التوجه عائدة إلى المنزل الكبير بمفردك، لأنني أنا نفسي لن أبارح إلى أي مكان.

أدخل رافاييل المفتاح في القفل، ثم أداره ودفع الباب ففتحه، ومشى إلى داخل الشقة من غير أن يستدير إلى الخلف. ولو أنه فعل، لرأى آيمي ما تزال واقفة في المدخل تستنشق الهواء كما لو كانت سمكة أخرجت فجأة من الماء!

- لا يمكنني أن أعود إلى هناك في هذه الساعة المتأخرة!

- ذلك غير منصف.

- بالنسبة إليك أم بالنسبة إلي؟

صرت آيمي على أسنانها وهي تشعر بإحباط وضعف حيلة، فقالت: «ظننتك رجلاً نبيلاً!».

- لهذا السبب أنا أعرض عليك الآن أن تأخذي غرفة النوم الكبرى.

رغبت آيمي بشدة أن تعترض بصوتٍ مرتفع، لكنها عوضاً عن ذلك وقفت باستقامة ومشت إلى داخل الشقة. إن خيارها في الواقع هو لا خيار مطلقاً، لذلك هي تنوي أن تستغل هذا الموقف بأفضل طريقة ممكنة. مما

يعني أن تأخذ غرفة النوم الكبرى التي عرضها رافاييل عليها، فهي تتضمن غرفة حمام موصولة بها، إضافة إلى ناحية خاصة بارتداء الملابس.

- أنا موافقة.

قالت آيمي ذلك وهي متوجهة نحو غرفة النوم، متجاهلة صمت رافاييل واندهاشه. على الأرجح أنه توقع منها أن تسمح لغرورها برفض عرضه. ما لبثت أن سألته: «في أية ساعة سوف نغادر صباحاً؟ أم...؟».

نظرت إلى رافاييل من فوق كتفها وتابعت: «... أنك تفضل البقاء هنا وتدعني أعود إلى المنزل بمفردي؟ أترى أن بإمكاني الوصول إلى مستوى المرأة المثالية بالنسبة إليك».

تمتم رافاييل: «من الذي قال أي شيء عن المثالية؟».

استدارت آيمي لتواجهه فنظرت مباشرة إلى وجهه، وقالت: «حسناً! ربما ليست مثالية. لكنني أتحدث عن نوع النساء الذي تفضله أنت. أي صنف المرأة التي تواعدها أنت، ثم تخرج برفقتها وتقيم علاقة معها، وتغرم بها...».

لم تعرف من أين جاءت بكل ما قالته للتو، لكنها عرفت بأن رافاييل كان ليفضل لو أنها احتفظت بذلك لنفسها. واحمرّت خجلاً.

فجأة أصبحت مهمة رافاييل هدفاً مبهماً في الأفق البعيد، ولم يعد متأكداً لماذا أصر على اصطحاب آيمي في جولة مانهاتن. كان في الأصل ينوي تخليص جيمس من قدره وحمايته من امرأة تسعى خلف أمواله. أهذا حقاً ما هدف إليه؟

قال لآيمي بخشونة: «اذهبي إلى النوم. و... لا. لن تضطري إلى العودة بمفردك إلى المنزل».

استدار بعدها مبعداً نظره عنها، فتركها مدركة لذنبها بأن ملاحظتها العابرة ربما كانت تعدُّ كبير على خصوصيته.

فكرت آيمي بتعاسة أن رافاييل على الأرجح مشمئز منها. لذلك أخذت حماماً طويلاً لتغسل عنها آثار هذه الأمسية، التي كانت تسير على ما يرام.

ثم ساءت في آخر الأمر. أغمضت عينيها وعاشت مجدداً كل لحظة من نهارها وليلها اللذين أمضتهما مع رافاييل. بحيث غمرتها المياه الدافئة وغلّفت رغوة الصابون جسدها، بعد أن انغمست في حوض الاستحمام المليء بالفقاقيع.

لقد تصرفت بشكل ساخر غير ضروري، في حين كان يفترض بها أن تشكره على محاولاته لإلهائها عن الذل الذي شعرت به عندما اكتشفت أن جيمس لديه صديقة. كيف كان لرافاييل أن يعلم أن قلبها الجريح لم يكن أبداً كذلك؟ كيف عساه أن يستنتج أن ردّة فعلها المتطرفة حياله تنبثق في الواقع من انجذابها غير الملائم نحوه بالذات، فعلى العكس من كل التوقعات: هي منجذبة إليه!

تذكرت ملاحظته بأن جيمس خارج منالها. كيف عساه يجرؤ! لا سيما هو من بين جميع الناس! لكنها عادت وفكرت، إذا كان رافاييل يقضي وقته في تقييم علاقاته الاجتماعية من خلال الأشخاص الذين يلتقيهم عبر مستخدميه، فلا عجب أن يضع نفسه في خانةٍ أعلى منها هي! ها!

استرخت متذكّرة بتباطؤ كل الجهود المضنية التي بذلتها في سبيل أن تصبح طاهية ماهرة. ناهيك عن ذكر اضطرارها لمواجهة خيبة ظن والديها، لأن كليهما رغبا أن ترتاد الجامعة كي تتابع دروسها.. لم تسنح الفرصة لوالدي آيمي أن يحصّلا شهادات عالية، لذلك حرصا بشدة على جعل أولادهما يدركون أهمية التعلّم منذ نعومة أظافرهم. قاومت آيمي كل محاولاتهما في التحكّم بها ودفعها إلى تمضية المزيد من الوقت في التعلّم، فقد أرعبتها فكرة مواجهة سنوات متتالية من الامتحانات والدروس، ثم تدريس صفوف من التلامذة المتمردين.

هاه! ما الذي عساه مرّ به رافاييل حتى حصل على وظيفته في البستنة؟ سألت آيمي نفسها بتفكّر.

على الأرجح أنه خلع قميصه ليبرهن أنه يتمتع بالقوة العضلية اللازمة، ثم حصل على تلك الوظيفة بكل بساطة. سمحت لفكرها بالشرود الخطير

والتجول في صورة رافاييل وهو يكشف قوة عضلاته، ثم صفعت نفسها ذهنياً لتستفيق وتنتزع نفسها من عالم الأحلام إلى الواقع.

أطلقت آيمي أنيناً من نفاد الصبر من نفسها، وبعد لحظة تفكير ارتدت رداء الاستحمام الأبيض، الذي تكرمت به بلطفٍ بالغ تلك الشركة المجهولة الهوية التي تعتني بالشقة، أو ربما المرأة التي تجهّزت به.

فكّرت أنها لن تضيع الوقت بالمجادلة مع نفسها تهرباً من تقديم الاعتذار، فاتخذت قرارها باندفاعها المستعجل كالعادة.

خرجت من غرفة النوم وسارت عبر غرفة الجلوس نحو موقع غرفة النوم الأخرى.

لاحظت أن الشقة مصممة بشكل حذق، فغرفة النوم الأولى مزودة بحمام وغرفة صغيرة لارتداء الملابس تقابلها في الجهة الأخرى غرفة نوم ثانية. لكن هذه الأخيرة ليست مزودة بحمام أو بغرفة لارتداء الملابس، بل هي مجهزة بكل العتاد الضروري لمكتب.

استطاعت آيمي أن ترى الخط الرقيق من الضوء المتسلل من أسفل الباب، فأدركت أن رافاييل ما زال مستيقظاً، وفكرت أن ذلك أمر جيد. فتقديم اعتذار ارتجالي أمر لا بأس به، لكن إيقاظه من النوم لفعل ذلك هو موضوع مختلف تماماً.

استنشقت نفساً عميقاً ثم قرعت الباب، فسمعته بعد لحظاتٍ يطلب منها الدخول. دفعت الباب ففتحته قبل أن تسنى لها الفرصة بالتراجع عن قرارها.

كان رافاييل مستلقياً على السرير وهو مستندٌ إلى الوسائد، بينما استقر على حضنه الكمبيوتر المحمول الخاص به. لم يكن يرتدي سوى بنطلوناً قصيراً داكن اللون.

- هل تعمل؟

مع أنه خطر لها أن من المستغرب نوعاً ما أن يعمل البستاني على كمبيوتره المحمول في ساعة تقارب منتصف الليل، لكن الجواب عن سؤالها

جاء عندما صفق رافاييل غطاء الكمبيوتر فأغلقه، ثم أخبرها بشكل عابر أنه ببساطة يتفقد بعض المراسلات الشخصية عبر البريد الإلكتروني.

عضت شفتيها بتوتر، وقالت: «آه! حسناً...!».

فقال رافاييل: «يمكنك الدخول، فأنا لا أعضّ».

ثم قام بإزاحة الكمبيوتر المحمول إلى جانبه وطوى ذراعيه خلف رأسه. بدا كأن رداء الاستحمام الذي ارتدته قد ابتلع جسدها تماماً، فمن الواضح أنه صُمّم لشخص أضخم منها.

- ماذا تريدين؟

سألها رافاييل بفظاظة، ثم أنزل قدميه من فوق حافة السرير، ومشى نحو النافذة فاستند إلى عتبتها العريضة. فقد بدا وجوده في السرير فيما هي واقفة هناك مربكاً بعض الشيء...

سحبت آيمي نفساً عميقاً، ثم قالت بتسرع: «جئت لأقدم اعتذاري، لأنني فقدت السيطرة على أعصابي ولأنني... حسناً...! سبّبت لك الإزعاج نوعاً ما بتواجدي معك، بعد أن فعلت كل ما فعلته لأجلي اليوم».

غامرت آيمي بالتقدم إلى داخل الغرفة بسبب توترها . وتابعت: «لقد ظهرت أمام عتبة بابك، وكان بإمكانك أن تعيدني بكل بساطة إلى المنزل، لكنك عوضاً عن ذلك أصغيت إلي وأنا أثرثر عما يكدرني. حتى إنك تطوعت بإحضاري إلى ماهاتن لتعفيني من إزعاج تواجدي برفقة جيمس ليلة الأمس».

شعرت أنها بدأت حقاً تقول خطاباً مطولاً.

قاوم رافاييل رغبته بأن يخبرها أن الأمر لم يكن أكبر تضحية يقوم بها في العالم كله. في البداية كانت له أسبابه، ثم تبين له أنه انتهى بتمضية أوقات لا تنسى برفقتها، بغض النظر عن الذروة السلبية لأمسيتهما.

مشت آيمي بضع خطوات غير واثقة باتجاه رافاييل، ثم قالت: «لا أظن أنني حقاً شكرتك على... الفستان... وعلى الجولة السياحية...

و...».

رفع رافاييل يده ليوقفها في منتصف حديثها، قائلاً: «حسناً! فهمت ما تريدين قوله».

- لقد كنت محقاً.

- أحقاً؟ بأي خصوص؟

بدا لرافاييل أن متابعة حديث آيمي هو كمحاولة الإمساك بالمياه الجارية. إنها الآن تقف قريبة منه إلى حد بعيد.. ، قريبةً جداً. أطبق أسنانه بإحكام على بعضها، ثم تسمّرت عيناه على فمها المرتعش.

- عندما أخبرتني أن جيمس بعيد عن منالي.

اقتربت آيمي أكثر، ثم مدت يدها لتمسك زنده. رفعت نظرها نحوه وهي ترتجف في محاولتها اليائسة المملة لجعله حقاً يشعر بصدقها.

- لا داعي لأن تفضي بمكنونات قلبك لي... هذه الساعة...

شعر رافاييل بالجفاف في فمه، فسعل ليجلو حلقه، لكن آيمي ردّت بجدية: «أنا أريد ذلك».

استقرت عندها كلتا يديها الصغيرتين على يدي رافاييل المطويتين. أدرك رافاييل عندها أنه على وشك أن يتصرف كما يتصرف أي رجل تواجهه امرأة جذابة. حتى لو لم تكن هذه المرأة الجذابة من الصنف الذي يمكن أن ينجذب هو إليه بالمطلق.

- أنا حقاً خارج نطاق جيمس.

حاولت آيمي أن تتخيل جيمس مندمجاً في عائلتها، لكنها فشلت. إن جيمس ساحرٌ بشخصيته، لكنه متأنق وصعب الإرضاء.

- لا أدري كيف استطعت حتى التفكير بأنه قد يهتم بي أنا. لقد تعرفت إلى بعض أصدقائه... عندما قمت بتقديم الطعام لهم في المكتب... النساء لا يشبهنني البتة. إنهنّ كلهنّ... تافهات...

قهقهت آيمي كالخرقاء وانطلقت تقلّد نخبة النساء اللندنيات التافهات وهنّ يناقشن حالة الطقس.

لاحظ رافاييل رداء آيمي ينزلق قليلاً عن كتفها، عندما راحت تضحك مقلدة أولئك النساء، فأوشك أن ينَّ بصوت مسموع.

- اعتذارك... مقبول...

حاول التراجع إلى الوراء، لكنه كان ملتصقاً بحافة النافذة، لذلك بقي مستقراً في مكانه، حريصاً على عدم اقترابها منه أكثر، فهو يشعر بالانجذاب نحوها كما لو كان مراهقاً.

- شكراً لك.

عنت آيمي ما قالته حقاً من أعماق قلبها، فهي أبداً لا تخجل بإطلاع الآخرين على مشاعرها، مهما كان ما تشعر به. أما الآن فهي تشعر بالندم.

وقفت آيمي أمامه وهي تشعر بالأسى على نفسها. بدت رقيقة جداً وجذابة جداً. شعر رافاييل أنه يرغب بتهدئتها وطمأنتها ليزيل ذلك الحزن عن وجهها. لم يعرف ما الذي دفعه إلى هذا التفكير، لكنه فقط وجد نفسه وقد مد ذراعيه باتجاهها، ثم شدها نحوه ليعانقها.

٧ - غداً... وهم وسراب

كانت إليزابيث آخر امرأة لامسها رافاييل، وهي امرأة طويلة صلبة العود، أما آيمي فنحيلة، رقيقة وسريعة العطب كما لو أنها قطعة من الخزف الصيني.

تسارعت المشاعر المتنازعة في داخله كتسارع المد إلى الشاطىء. ما الذي يفعله، بحق السماء؟ أيعانقها كما لو أن حياته تعتمد على ذلك العناق؟ إنه غير قادر على الاكتفاء من احتضانها بالقرب من جسده المتعطش المتسائل. هذا العناق لا يشبه مطلقاً أي شيء شعر به من قبل. إنه مبهجٌ، منعش ومرعب في آن معاً.

جذب رافاييل نفسه مبتعداً عنها بصعوبة، وما زاد الأمر صعوبةً هو بقاؤها على مسألة ذراع منه. راقبها وهي تمسك بإحكام برداء الاستحمام الضخم حول جسدها، فيما حملقت في وجهه ووجنتاها متوردتان، وفمها يرتعش من صدمة عناقه.

مرّر رافاييل أصابعه من خلال شعره وقال: «ما كان يجب أن يحصل ذلك».

فتحت آيمي فمها لتقول له بأنه محقّ تماماً، وبأنها لم تأت إلى هذه الغرفة لينال منها هو، وأنه من غير المجدي أن يحاول إلقاء اللوم عليها! عوضاً عن ذلك سمعت نفسها تقول له: «لمَ لا؟».

فكرت آيمي بحدّة، متى عساها تستطيع الاعتماد على فمها لينطق بالكلام الصحيح المناسب؟ متى؟

هرعت بعجلة وتهور لتقول أول عذر طرأ في ذهنها: «ما عنيته... هو

www.elromancia.com

لِمَ...؟ نعم... لِمَ حصل... ما قد حصل؟».

تمتم رافاييل ببطء: «أنت محقة. لِمَ لا؟».

وجّه رافاييل إلى آيمي ابتسامة بطيئة جذابة تذيب القلب. لِمَ عساه يشعر بالقلق؟ لِمَ عساه يحاول إيجاد أجوبة لأسئلة كان يطرحها على نَفسه من غير جدوى؟ لقد اختصرت آيمي المسألة كلها بكلمتين صغيرتين فقط: لِمَ لا؟

- ما أردتِ قوله هو أنك لا تمانعين معانقتي لك...

أرادت آيمي يائسة أن تخالفه الرأي، فحملقت فيه بسكون أبكم معذّب.

تابع رافاييل حديثه إذ لم تخرق آيمي سكوتها، فقال: «لا تحاولي حتى نكران الأمر، فأنت فاشلة في الكذب».

ثم قام بتمسيد شعرها مستشعراً تلك الكتلة الحريرية الناعمة التي تتشابك حول أنامله.

- أنا لم أدخل إلى هنا كي... كي...

- كي أعانقك...!

تابع رافاييل: «كيف عساي أصدق ذلك عندما تدخلين إلى غرفة نومي وأنت ترتدين هذا الثوب...؟».

أحسّت آيمي بالرعب... كل ما عليها أن تفعله الآن هو تحويل هذا الرعب إلى غضب ثائر فتندفع خارج الغرفة. لكنها لسوء الحظ فشلت في فعل ذلك، إذ راحت أنامل رافاييل تثير مشاعر غريبة في جهازها العصبي، بدأت تتسارع بشكل جنوني متهور.

- أنا حقاً لم أقصد ذلك!

جذبت آيمي الرداء فأحكمت شدّه حول جسدها مرة أخرى، وفكرت أن الراهبة لا يمكنها أن تكون مغلّفة بالملابس أكثر منها! مع ذلك شعرت بأن ما ترتديه ليس ملائماً مطلقاً لهذا الموقف الذي وضعت نفسها فيه. إلا أنها تابعت: «كما أنني لم أدخل إلى هنا لـ...».

- أعرف هذا! لو أنك من صنف النساء اللواتي يدخلن إلى غرفتي لإغوائي بثوب رقيق بالكاد يسترهن، ما كنت لأهتم بك. لكن ذلك ليس

أسلوبك، أليس كذلك؟

انحنى رافاييل محاولاً التخفيف عنها، ثم وضع إصبعه تحت ذقنها ليرفع وجهها كي تنظر إليه.

- ما من داعٍ لأن تعتذري بخصوص... أي أمر.

راحت أصابعه ترسم حدود وجهها برقة بالغة، وسرعان ما عاد يعانقها بشوق وشغف، إلى حد أنه لم يستطع الانفصال عنها ليتحدث فقام بتمتمة الكلمات مباشرة في أذنها.

أحسّت آيمي كأن عظامها تتحول إلى هلام. ما يحصل معها هو جنون مطلق. أدركت أنها لا تريد أن يبتعد رافاييل عنها، كما لا ترغب أن يقول أي شيء. كل ما تريده الآن هو أن يستمر في معانقتها.

مرر رافاييل من جديد أصابعه في شعرها، فانسدل شعرها الأشقر الرقيق حول وجهها وعلى كتفيها، فيما ظلت متشبثة بردائها كما لو أن حياتها تعتمد عليه.

- أتعرفين أنك رائعة الجمال؟ أردت أن أعانقك منذ رأيتك في المتجر في ذلك الفستان الأحمر.

قال رافاييل ذلك وهو يرفع آخر عظمة متحضرة في جسده.

رفعت آيمي نظرها باتجاهه ببطء وقالت: «أنا لا أفعل عادةً... هذا النوع من الأشياء...».

- أي نوع من الأشياء؟

- معانقة رجل ما بعد مرور يوم واحد على لقائي به، هذا النوع من الأشياء الذي أقصده...

- علمت منذ البداية أننا سوف نجد شيئاً مشتركاً بيننا. تعالي لنجلس معاً على الأريكة.

أومأت آيمي برأسها موافقة، إذ خذلتها أوتارها الصوتية عن التفوه بأي شيء. قادها رافاييل نحو الأريكة المقابلة للسرير، فأجلسها برفق ثم جلس إلى جانبها.

استغرق بعض الوقت كي يستعيد أنفاسه، ما أعطاه لمحة من الماضي المنسي، حيث سيطر الشغف على الثقافة. تساءل كم مضى من الوقت على آخر مرة اضطر فيها إلى مقاومة شغفه لئلا يفقد السيطرة على أعصابه؟

قرّبها رافاييل منه لتستكين في انحناءة ذراعه، وما لبث أن ضمها في عناق جديد مسكر خطف أنفاسها.

لم يشعر رافاييل من قبل أنه منسجم مع شخص آخر إلى هذا الحد. وكأن آيمي تستطيع التواصل معه عبر أحاسيسها.

أدرك رافاييل مقدار الشوق الذي شعر به إليها والرغبة في عناقها. لم تتبادر إلى ذهنه هذه الفكرة المفاجئة إلاّ لاحقاً فيما كانا هو وآيمي جالسين يهدوء إلى جانب بعضهما البعض، فقال: «مع أنني كنت أتوق إلى عناقك لكنني لم أتوقع أن ننسجم معاً بهذه السرعة».

بذلت آيمي مجهوداً لتنضم إلى مجرى حديثه البالغ الجدية، فيما يداها تداعبان خصلات شعره الأسود.

نظرت إليه وقالت موافقة: «نعم. أفترض... أن الأمور جرت بسرعة فائقة. لوهلة كنت واقفة على عتبة بابك لأقدم لك اعتذاري الجاهز، وبعد دقائق وبشكل ما أصبحنا متعانقين».

- وهل يسبب ذلك لك مشكلة؟

- حسناً! ماذا لو أخبرتك بأنني لم أسمح لأحدهم بمعانقتي بمثل هذه السرعة من قبل؟

لم تدرِ آيمي ما الذي تتوقعه كردٍ على هذه الملاحظة. لكنها لم تتوقع هذا السكون التام، وهذا التعبير المغلق الذي ظهر في عيني رافاييل.

- من يتعرف إلى طبعك النزق لا يظن هذا مطلقاً.

تراجعت آيمي إلى الخلف وقد انزعجت فجأة من ردّه، ثم قالت لنفسها وهي ترتعش بأنها بالطبع تتصرف بتهور.

أخبرته بصدق: «أنا لست عديمة المسؤولية إلى هذا الحد!».

ردّ رافاييل بصدقٍ كذلك: «أظنّنا متشابهان بذلك. خلال السنوات

العابرة أصبحت معتاداً أن النساء اللواتي أصادفهن لديهنّ مخططات مسبقة للنيل مني...».

- أي نوع من المخططات قد تضعها المرأة...؟

كادت آيمي أن تضيف: «وهي برفقتك؟».

هزّ رافاييل كتفيه وقال: «النوع المعتاد».

قالت آيمي ببطء: «إنك مهووس بخوفك من الارتباط...».

لم تعلم لما آلمها التفكير بأنه يوجه لها التحذيرات بخصوص التورط معه عاطفياً، باعتبار أن لا مجال أبداً لحصول ذلك، بما أنها سوف تعود إلى إنكلترا في غضون أيام معدودة.

هما لم يخرجا حتى في موعدٍ غرامي سوياً! ليس حقيقياً، على الأقل. إن الخروج برفقة امرأة لأنه شعر بالأسى عليها لا يعتبر موعداً غرامياً. أما تبادل العناق مع شخص لمجرد وجود شرارة من الانجذاب المتبادل، فأمرٌ لا يعتبر حباً.

تساءلت آيمي عابسة من أين عساها ظهرت كلمة «حب».

علّق رافاييل على ملاحظتها: «لا أعتبر نفسي مهووساً بهذا الأمر، جزء من طبيعتي».

شعر برغبة في البقاء بقربها، فاقترح: «ما رأيك لو نبقى معاً الليلة؟».

- أتعني النوم في هذه الغرفة معاً؟

- هذا ما عنيته.

نظرت آيمي إلى رافاييل باستغراب وقالت: «كلا! كلا، بالطبع. لمَ أنام هنا فيما هنالك غرفة أخرى مريحة لي؟ يا إلهي! إياك أن تظن بأنني امرأة سهلة المنال فقط لأنني تجاوبت مع عناقك».

أجفل رافاييل مدركاً أنها أساءت فهمه، لذا سارع إلى التوضيح: «حسناً... حسناً! فكرت أن أترك لك السرير وأنام أنا على الأريكة. فلا تسيئي فهمي».

تساءل كيف وصل الحديث بهما إلى هذه النقطة. إن آيمي، كالعادة،

تجرّه بشكل ما خلفها في الكلام، ثم تنجو بفعلتها.

- آه! لكن لماذا، لست أفهم.

- ماذا تعتقدين؟ لكي نصحو معاً غداً صباحاً، إذ يبدو جو هذه الغرفة ملائماً لكلينا.

انحنى رافاييل إلى الأمام ليعانقها من جديد، فيما تملصت آيمي بمكر مبتعدة عنه لتتمكن من النظر إليه بتجهّم.

- حسناً! فهمت الصورة. لكني أفضل البقاء في الجانب الآمن. لذا سأستخدم الغرفة الأخرى.

أصدر رافاييل صوت أنين أجش وقال: «موافق، لكن بشرط أن تسمحي لي بأن أوقظك بنفسي عند الصباح».

* * *

استيقظت آيمي صباح اليوم التالي على حركة خفيفة في غرفتها، فتذكرت حديثهما ليلة أمس.

تمشى رافاييل إلى داخل غرفة النوم، مرتدياً بنطلوناً قصيراً، فيما حمل بين يديه صينية وضعت عليها قطع مستديرة من الخبز مع بعض أنواع المربى، بالإضافة إلى كوبين من الكابوتشينو الكثيرة الرغوة.

تلوّت آيمي ثم استقامت جالسة على السرير، فيما راقب رافاييل وجهها المتورم بسبب النوم وشعرها المتناثر بشكل عشوائي حوله. بدت له شديدة الجاذبية حتى في ساعة استيقاظها.

وضع الصينية على السرير إلى جانبها ثم جلس، وقال: «الآن، قبل أن نأكل أي شيء...».

قطع جملته وكأن مغزاها واضح تماماً دون حاجة إلى المزيد من الإيضاح، وسرعان ما قرب آيمي منه ليغرقها في عناق حميم رائع.

- هاك!

قال رافاييل ذلك بعد أن ابتعد عنها قليلاً وتابع يقول: «أما الآن: القهوة والخبز! نحن النيويوركيون مشهورون بإنتاج أفضله. إننا نصنع أجود

نوعية خبز في العالم».

مزق رافاييل قطعة من الخبز وأطعمها لآيمي. بدا الأمر له كما لو أنه في إجازة من العمل. فأجرى بضع مكالمات هاتفية متعلقة بالعمل وهو في طريقه إلى المتجر الموجود عند زاوية الشارع، كما تفقّد بريده الإلكتروني قبل أن تستيقظ آيمي. لكن في ما عدا ذلك، اختفى العمل عن الشاشة بالنسبة إليه. وها هو الآن، يلقّم الخبز لامرأة في السرير، بحيث أن أي شخص غريب سيعتبر هذه الحركة بادرة رومنسية. لكن رافاييل لم يتميز بالرومنسية يوماً. إن إحضار الفطور إلى السرير لامرأة رفضت مشاركته غرفته هو أمر جديد تماماً لم يعهده في نفسه من قبل!

- آه! أي متجر لبيع الخبز يمكنه أن يبيع خبزاً كهذا، لكن الاختبار الحقيقي هو أن يصنع الشخص الخبز بنفسه.

قالت آيمي ذلك محاولة إغاظة رافاييل، وهي تفكر بأنها ما تذوقت خبزاً لذيذاً كهذا طيلة حياتها.

- آه! أنت تعتقدين أن الرجال الحقيقيين يصنعون الخبز عوضاً عن شرائه.

- تماماً!

يا لهذه الصداقة البسيطة التي ولدت بينهما فجأة! انتابها شعور غريب بأنها تستطيع الوثوق بهذا الرجل واللحاق به حتى آخر الأرض. فاجأها رافاييل بقوله: «تباً! ها أنت قد كشفتني على حقيقتي. فأنا فأر على هيئة رجل».

ضحكت آيمي من أعماق قلبها، وتعجبت كيف استطاع رافاييل أن ينسجم مع مزاحها السخيف، من دون أن تغفل عن إعجابها ببنيته الجسدية التي تكذب كلامه.

حذّرت آيمي نفسها خلال النهار التالي، من أن هذه العلاقة الرومنسية ستنتهي مع انتهاء الإجازة في نيويورك. فكرت بذلك وهما يستكشفان المزيد على امتداد الشاطىء. في الواقع، إن علاقتهما ليست علاقة عاطفية حتى،

بل يمكن أن يقال عنها إنها مغامرة، مغامرة عابرة.

أقنعت آيمي نفسها بحزم أن من الجيد ألا تدوم لعبتهما الصغيرة طويلاً، فهي قد ساعدتها على التخلص من تلك النظريات المتعلقة بالعلاقات الرومنسية السعيدة التي تدوم إلى الأبد. فكرت بذلك فيما هما يستمتعان بتناول العشاء على طريقتها، أي في أحد المقاهي المكتظة التي تقدم البيتزا، وهي أكبر بيتزا رأتها في حياتها. «على طريقتها» أمر يعني أن رافاييل ارتدى الجينز الذي انتقته هي له.

قررت أن تستمتع برفقة رافاييل من غير أن تنتظر المزيد، فإن توقع المزيد أمرٌ ممل في العلاقة. ذهبت آيمي برفقة رافاييل في رحلة أخرى إلى مانهاتن، فكانت الرحلة أروع من سابقتها، لأنهما هذه المرة كانا متفاهمين! حيث لا شجارات كلامية ولا مواجهات، بل اقتصر عملهما على مجرد التجول وهما ممسكان بيدي بعضهما. مرة أخرى تمكن رافاييل من استعارة الشقة الخاصة بالشركة، وهي شقة عملية، قريبة وفي متناول أيديهما.

مع دنو موعد مغادرة آيمي، بدأت بعض الحقائق المخيفة بالتسلل تحت تلك الطبقة من الثقة بالنفس والتطمينات التي رافقتها.

أقنعت آيمي خلال اليومين السابقين بالاهتمام بالحاضر وعدم التفكير بالمستقبل، إلا أنها أدركت فجأة أنها جشعة، حين شعرت أنها ترغب بالمزيد.

قام رافاييل بإعداد الطعام لآيمي في منزله. على الرغم من أنه لم يحضر أطباقاً معقدة، لكنها شعرت بأنه قلّما يقوم بمثل هذا الأمر. جعلها ذلك تتساءل أيضاً إن كان هنالك احتمال ولو ضئيل بأنها قد تعني شيئاً بالنسبة إليه.

لم يَفُت آيمي ملاحظة أن رافاييل لم يتفوه مرة بأمر منهور، فلم يطلق الوعود كما لم يتحدث أبداً عن مستقبل مشترك لهما معاً. فهو لم يذكر ولو مرة واحدة أن هنالك إمكانية ولو ضئيلة بأن يقوم يوماً ما بزيارة لندن،

حتى بعد أن قامت آيمي بتعداد شامل لكل الأماكن الرائعة التي يمكن زيارتها هناك، فذكرت المواقع الأثرية، ثم اختلقت بعض الأمور بما أن خبرتها ومعرفتها التاريخية قليلة نوعاً ما.

قالت آيمي: «هل تنتابك أبداً... همم... رغبة بمغادرة هذا المكان؟».

- مغادرة هذا المكان...

أدرك رافاييل على الفور مغزى حديثها. حسناً! عاجلاً أم آجلاً سيحدث الأمر، إذ بغض النظر عن اختلاف آيمي عن بقية النساء اللواتي عرفهنَّ، فإنها ليست محصّنة ضد الرغبة التي تنتاب النساء عادة حول بناء علاقة مستمرة.

- هذا المنزل... أقصد، إنه منزلٌ جميلٌ جداً، لكن رغم هذا... ألا ترغب أبداً بالذهاب لتعمل في مكان آخر؟ العالم مليء بالبساتين الكبيرة التي تشكل تحدياً.

- هذه حديقة كبيرة جداً.

- أعلم أنها كبيرة، رافاييل، لكن لا بد أنك تعرفها عن ظهر قلب. الأشجار، النباتات، أجمات الورود...

- يبدو أنكِ مهووسة بأجمات الورود.

اضطر إلى الإقرار بأن طبيعتها السهلة المراس هي أمر رائع في علاقتهما. لكنه قال لنفسه، إن النساء اللواتي يحتاج إليهنَّ حقاً هنَّ شبيهات بإليزابيث، فهو يرغب بنساء يتفهمن ساعات عمله المطولة الهائلة، كما يتفهمهن هو بدوره. نساء يهتممن بأخبار أسواق البورصة كما يفعل هو. وفي مطلق الأحوال، ذكّر نفسه باضطراب أنه تورّط في هذه العلاقة العاطفية مع هذه المرأة لمجرد أنها شكلت خطراً محتملاً على جيمس الذي شعر رافاييل بواجب حمايته بشدة.

أخذ رافاييل استراحة من عمله، وشذَّ عن روتينه المعتاد، وقد استمتع بذلك، لكن آن الأوان ليعود إلى حياته العادية المنظمة الفائقة السرعة. إن

الاتصال بالمكتب بواسطة البريد الإلكتروني والهاتف أمر لا بأس به، لكن لا بد أن يتوقف. كما على مغامرتهما الممتعة العابرة أن تتوقف.

- ألا تتوق إلى... مشاهدة العالم؟

- قد أفعل ذلك لولا اعتقادي بأن المألوف هو بأهمية المجهول.

- أنت تفعل هذا عمداً، ألست كذلك؟

- أفعل، ماذا؟

قال رافاييل ذلك فيما راح يمرر أصابعه على مؤخرة عنقها مدغدغاً.

- كلا، لا تفعل ذلك!

أفلتت آيمي نفسها من مداعبته، وتابعت: «أريد أن أتحدث، رافاييل. وأنا لا أريدك أن تربكني. أنت حذق بكلماتك لكنني لا أرغب بالحذاقة، بل أريد الصدق. أتدرك أنني سأغادر يوم غد؟ هذه هي الليلة الأخيرة التي سوف نمضيها سوياً و...».

استنشقت آيمي نفساً عميقاً وقالت بسرعة: «... وعدت نفسي بألاّ أسألك عن أيّ من هذه الأمور، لكن ها أنا... ما الذي سوف يحصل لنا؟ أنا لا أطالبك بالارتباط رافاييل، لكن هل هنالك أي نوع من المستقبل القريب، القريب جداً لنا معاً؟ من الجلي أن لديك الكثير من المسؤوليات هنا... أجات الورود تلك...».

جربت آيمي أن تقول نكتة ضعيفة، لكنها استطاعت أن تشعر به للتو ينسحب إلى الخلف.

همست وهي تتملص مبتعدة عنه: «حسناً! إنسَ كل ما قلته لك».

- لا!

تنهّد رافاييل، ثم وقف على قدميه بقفزة واحدة، ما أعادها إلى الواقع، كما لو أنها تلقت ضربة مطرقة على رأسها. أدركت آيمي بوضوح أنها فكرت بسخافة حين بدأت بتخيل هذه الأشياء المجنونة المليئة بالآمال والأحلام.

- نحن أمضينا وقتاً جيداً خلال الأيام القليلة الماضية، وأنت ترغبين

بالتحدث، لذلك سنتحدث. لذا فإن الجلوس متلاصقين ليس الشكل الأمثل لتبادل الحديث.

قالت آيمي بتعاسة: «لا أريد أن أتحدث».

لم يرد رافاييل، لكن وجهه بدا متجهماً، فشعرت أنه وضع فجأة حاجزاً ومسافة بينهما.

اندفعت آيمي واقفة أيضاً، علّ ذلك يساعدها على استعادة تماسكها وسيطرتها على نفسها.

- قهوة؟

- حسناً.

أدركت آيمي أن الأمر انتهى بينهما. راقبته بصمت وهو يعد كوباً من القهوة لكل منهما. فكرت أنها تآلفت مع أساليبه في غضون أيام قليلة. تآلفت مع طريقته في التسكع مستنداً إلى منضدة المطبخ فيما ينتظر غليان مياه الإبريق، مع طريقته في تمرير أنامله خلال شعره قبل أن يتفوه بأمرٍ يعتبره هاماً، ومع طريقته في فرك مؤخرة رأسه لدى شعوره بالإرهاق. إنه إدراك مخيف قد استنتجته، لأنه برهن لها بالضبط كم ترك رافاييل تأثيره عليها بعمق.

- تريدين معرفة إلى أين سيقودنا هذا. ذلك هو الهدف الذي تصبو إليه أسئلتك عن رغبتي بمشاهدة العالم.

كانت آيمي قد جلست إلى طاولة المطبخ، أما رافاييل فأدار كرسيه، وامتطاه بحيث أصبح مواجهاً لها تماماً. استطاعت آيمي أن ترى على وجهه تلك النظرة التي توحي بأنه سوف يقوم بتركها والتخلي عنها برقة. مسكينة آيمي، حان وقت كلام الوداع!

- آه! بحق السماء، رافاييل. ما من داع لأن تطيل الأمر وتجعل منه أنشودة! لم أكن أحاول تدبير موعد لك لتزور إنكلترا!

قررت آيمي إنهاء الأمر بسرعة خلال تناول كوب القهوة، عبر قول خطاب خاص بها.

- أحقاً؟ إذاً ماذا قصدت بقولك المستقبل القريب جداً؟

هزّت آيمي كتفيها وقالت: «آه! أفترض أنه أمر تقوله أية امرأة في مكاني. ذلك لا يعني أنني أسمع أجراس الزفاف تقرع. أقصد... نحن استنتجنا من يومنا الأول أننا لسنا رفيقين بالروح. ألست محقة؟».

ضحكت آيمي لتشدد على سخافة هذه النظرية وتابعت: «لكن... أنا ببساطة فكرت أنه يمكننا أن نبقى على اتصال عبر البريد الإلكتروني... كما يمكنك أن تأتي لرؤيتي في وقت ما إذا ما شعرت يوماً برغبة في زيارة حدائق كيو، لترى كيف نقوم نحن البريطانيون بهندسة المناظر الطبيعية في الحدائق. لأكون صادقة معك...».

شعرت آيمي أن محاولتها تلك مكشوفة جداً، ما دفعها للمتابعة قائلة: «كنت فقط أتصرف بلياقة معك. لم أكن أنوي إشعال حرب عالمية. لكن نعرف كلانا، أنك تأخذ الحياة على محمل بالغ في الجدية، لذا كان يفترض بي أن أتصور ما ستكون عليه ردّة فعلك».

لم يقل رافاييل أي شيء، فآيمي استبقت ما كان ينوي قوله، وذلك أمرٌ جيد. إنهما يفهمان بعضهما البعض، وهو لن يضطر إلى إبعادها عنه بالقوة حين يأتي موعد الفراق.

أدرك رافاييل أن آيمي بدأت تتململ وتقول شيئاً ما بخصوص الرحيل.

- أبهذه السرعة؟

- إن الوقت متأخر، رافاييل.

- أكنت ستبقين لو أنني قلت بأن لدينا نوعاً من المستقبل القريب معاً؟

- أنا لم أنوِ توضيب أغراضي بعد. كما أنني حقاً أرغب بالعودة لأحضر على الأقل جزءاً من احتفالات الليلة الأخيرة هنا. ينوي جيمس إقامة عرض للألعاب النارية والمفرقعات.

- يمكنك أن تشاهديها من هنا.

يا له من أمر مغرٍ، أن تجلس في الخارج برفقة رافاييل فيما يلفان ذراعيهما حول بعضهما! إنه مغرٍ لكنه غير جيد. عليها أن تبتعد من هنا

بأسرع ما يمكنها.

- نعم، لكنني لن أفعل ذلك.

تنهدت آيمي، ثم اقتربت منه لتحصل على عناق وداعي أخير، مجرد شيء تحتفظ به في صندوق ذكرياتها. وضعت ذراعيها حول عنق رافاييل، لكنها لم تستطع الوصول إلى أعلى من مستوى كتفه وهي مرتدية حذاءها ذا الكعبين المنخفضين، فيما كان رافاييل قد وقف بدوره.

دفن رافاييل رأسه في شعر آيمي فغمرها بشدة. شعر بالرعب عندما ألحت عليه الرغبة بالتوسل إليها كي لا ترحل، فدفعها برفق بعيداً عنه ثم أعاد سيطرته على نفسه بحزم، متحكماً بأفكاره التي ذهبت تعدو خارج الحقيقة.

- كما تشائين!

شعرت آيمي أن حنجرتها بدأت تؤلمها بسبب بذل مجهود كبير لمنع دموعها من التساقط.

- سوف أوصلك.

- كلا! أرجوك لا تفعل! أنا... أعرف الطريق المؤدية إلى المنزل. أصبحت أعرف كل الطرقات المختصرة! كما أن الهواء العليل سيكون منعشاً.

استدارت آيمي وسارت نحو الباب. رفعت يدها إلى مقبض الباب، ثم نظرت إليه نظرة أخيرة، وقالت: «كان الأمر ممتعاً مسلياً، رافاييل. اعتنِ بأجمات الورود تلك، فأنت تعلم أنني مهووسة بها».

بدأ رافاييل يشعر بالندم الجدي لأنه أصدر حكماً صارماً حيال المستقبل القريب الذي ذكرته آيمي. لكن فات الأوان الآن، وهو لا يستطيع التراجع عن هذا الموقف من دون أن يبدو ضعيفاً. راقبها فيما أخذت تنظر حولها لتتأكد من أنها لم تنس شيئاً من أغراضها، ثم راقبها فيما خرجت من الباب ومن حياته... إلى الأبد.

أقنع رافاييل نفسه أنه أتمّ مهمته، فلا مجال أبداً لأن تعود آيمي إلى

التفكير بجيمس مجدداً. أصبح يعرفها بما يكفي الآن، ليعلم أنها ستكون صادقة مع نفسها قدر الإمكان. وهذا الصدق سوف يجبرها على الإقرار بأن ما شعرت به حيال جيمس لم يكن سوى وهم.

أما هو فقد أمضى وقتاً ممتعاً جداً أثناء قيامه بمهمة إبعادها عن جيمس. فماذا عساه يطلب أكثر من هذا؟

٨ ـ المواجهة

انتهى الأمر بآيمي إلى الجلوس بالقرب من جيمس أثناء رحلة العودة بالطائرة إلى لندن. كانت تلك المرة الأولى التي تجري فيها معه حواراً لمدة تتخطى العشر دقائق. تصرّف جيمس بلطافة وسحر كعادته، فسألها عن الكثير من الأمور، محاولاً جهده أن يجعلها تكشف عن كيفية قضائها لوقتها في الهامبتون، فهو لم يشاهدها حاضرة في مختلف المناسبات الاجتماعية التي نظّمها هناك للموظفين.

أصرّت آيمي على تجنب ذكر رافاييل. شعرت بأن معرفته بالأمر هو تطفل على خصوصياتها. لم ترغب بمشاركة ذكرى هذه اللحظات التي قضياها سوياً مع أي شخص آخر، لا سيما جيمس. لم تعرف آيمي ما الذي ستكون عليه ردة فعل جيمس لو علم أن البستاني العامل لديه استأثر بها وتجول برفقتها هنا وهناك متجاهلاً أنها ضيفة رئيسه. لم تشأ آيمي تحمّل مسؤولية أن يتم طرد أي شخص بسببها.

أخيراً تخلّى جيمس عن تساؤلاته في مواجهة تشبثها بالردود المبهمة، في حين أنها لم تواجه صعوبة في جعله هو يتحدث عن نفسه.

يشعر جيمس بالمتعة عندما يتحدث عن نفسه، كما أنه يبرع في ذلك، عبر جعل المستمع يندمج في ما يقوله. إنه يحب التكلم عمّا فعله وعن الأماكن التي زارها، وعن المناظر التي شاهدها، وبالطبع عما يفكر به حيال... كل الأشياء تقريباً. لم يتطلب الأمر من آيمي بذل مجهود كبير كي تقرأ ما بين السطور خلال حديث جيمس. بعد مضي ما يقارب السبع ساعات، أصبحت لديها فكرة واضحة جداً عما يثير اهتمام هذا الرجل.

www.elromancia.com

لكنها لم تشعر بالفضول الجارف لتكتشف ما يحيط بحياته المترفة الصاخبة.

كان رافاييل مصيباً بالكامل عندما قال لها بأنها خارج نطاق جيمس.

اعتمدت آيمي طريقة ناجحة لتبعد تفكيرها عن رافاييل، إذ راحت تشغل نفسها بأمور أخرى ما إن تطرأ عليها فكرة تتعلق به. وبدا أن هذا الأسلوب يعطي النتائج المرجوة.

الآن، فكرت آيمي بالتقدم الذي حققته خلال فترة شهرين من الزمن. شهران طويلان أولت خلالهما اهتمامها إلى ما علمتها إياه التجارب، فتبدلت حياتها تبعاً لذلك.

أول أمر قامت به هو التوقف عن العمل لدى جيمس، ليس لأنها لم تعد ترغب برؤيته، لكن ما لم ترغب به هو تذكرها رافاييل، وجودها مع جيمس يذكرها برافاييل فايفس. لم تثق آيمي بقدرتها على ضبط نفسها كي لا تسأله بشكل عابر خلال مجرى الحديث، عن حال ذلك البستاني الذي يعمل لديه. ما كانت كرامتها وغرورها ليشفيا إذا ما انحدرت إلى ذلك المستوى من الضعف. هنالك أمر واحد أدركته بسرعة تامة، وهو أنها لم تعنِ أي شيء مطلقاً لرافاييل. لم تكن لدى رافاييل أية نيّة بمتابعة علاقتهما الغرامية. وقد أقنعت آيمي نفسها أن المحيط الأطلسي يشكل عائقاً كبيراً جداً على أي حال، وعلى الأرجح أن رافاييل رجل عاقل بما يكفي ليدرك ذلك منذ اللحظة الأولى لبدء علاقتهما. مع ذلك، أملت أن يقدم لها وعداً ولو ضعيفاً بأنه سوف يبقى على اتصال بها.

من المفترض أن يكون نسيان رافاييل أمراً سهلاً، بسبب أسلوبه في إخراجها من حياته بشكل عادي عابر، وذلك بعد أن أمضيا سوياً أياماً هي أفضل وأروع أيام في حياتها، لكن قلبها واجه صعوبة في الإصغاء إلى عقلها.

على أي حال فإن التغيير الجذري لأسلوبها في الحياة ساعدها في ذلك إلى حد ما.

لم تتخلَّ آيمي فقط عن وظيفتها في شركة جيمس، بل عادت إلى متابعة

دروسها الجامعية.

تلقت مساعدة مالية من والدتها. ظل بإمكانها أن تنتج المصروف الضروري الباقي من خلال القيام بتقديم الطعام أحياناً، لصالح بعض الأشخاص.

لم تفاجأ آيمي لدى تلقيها اتصالاً من امرأة نُصِحت باستخدام خدمات آيمي. سألتها المرأة إن كان بإمكانها تقديم الطعام أثناء عطلة نهاية الأسبوع لمديرها الذي يقيم اجتماعاً صغيراً خاصاً في منزله الواقع بلندن.

- إنه لا يتردد إلى هنا باستمرار، لذا سيدفع لك مبلغاً جيداً إذا ما وافقت على القيام بالعمل.

- حسناً... ! أفترض ذلك... أيمكنني الحصول على العنوان؟

أعطتها المرأة العنوان فعادت آيمي تسأل: «ما اسم ذلك السيد».

- لي، السيد لي.

إنه ليس جيمس لي، بالطبع! كان جيمس ليتصل بنفسه إذا ما رغب بخدماتها في تقديم الطعام.

أخذت التفاصيل المطلوبة، وسرها معرفة أنه يمكنها طهو ما تشاء بكل تحرّر وتوسع، وسرعان ما نسيت موضوع اسم ذلك الرجل. بعد مرور خمسة أيام عادت وتذكرته وهي واقفة في المدينة أمام منزل ضخم باهظ الثمن.

كانت كلير ما تزال تعمل لدى شركة جيمس، وقد عرضت خدماتها على آيمي، لكن هذه الأخيرة رفضت. لم يكن ذلك سوى اجتماع صغير لأربعة أشخاص، وهذا أمر أمكنها أن تديره بنفسها وهي مغمضة العينين حتى.

لم تكن آيمي تحبّذ الذهاب إلى مكان جديد بمفردها، لكنها أيضاً لم ترغب برفقة كلير الكثيرة الثرثرة.

قرعت جرس الباب وهي تتحقق من حقائب الطعام اللذيذ التي تحملها. تفقدت في ذهنها قائمة الموجودات لتتأكد من أنها لم تنسَ شيئاً. لم

ترفع نظرها إلى الأعلى عندما فُتح الباب، لأنها كانت منهمكة جداً بإقفال سحّاب الحقيبة المبرّدة التي تحتوي على المكونات الباردة التي سوف تحتاجها لإعداد حلوى البودنغ.

أول شيء لمحته آيمي كان الحذاء ذو اللون القشدي الشديد اللمعان. بدا واضحاً أنه حذاء باهظ الثمن. إنه في الواقع ما يتوقع المرء أن يجده عند عتبة باب منزل فخم واقع في أحد أرقى ضواحي لندن.

وقفت بخفة وذكاء، فقد اكتشفت على مر الوقت أن الأثرياء لا يتمتعون بمقدرة على الصبر. إنهم يدفعون أموالهم مقابل خدماتها، وهم يتوقعون أن يظهر طعامهم المتميز بشكل سحري على موائدهم. كما أن هؤلاء الأشخاص لا يحبذون الاختلاط كثيراً مع الموظفين الذين يقومون بمزج الطعام في القدور خلف الكواليس.

كان الاعتذار جاهزاً على شفتي آيمي، كما كانت يدها في الواقع ممدودة لتعرّف عن نفسها، حينما صفعتها حقيقة التعرف على الشخص الواقف أمامها. أصيبت بصدمة وشعرت أنها تتمايل مترنحة إلى الوراء، فاضطرت إلى أن ترمش عينيها لتتأكد من أن عقلها يرى الأمور بوضوح وأنه لا يخدعها.

لا يمكنه أن يكون هناك! واقف أمامها تماماً على عتبة منزل قد يكون ثمنه بالملايين!

- مرحباً آيمي. أفترض أنك ظننت بأننا لن نلتقي مجدداً. أليس كذلك؟

- رافاييل!!

- تفضلي... ادخلي، يبدو كأنه سيغمى عليك على الرصيف.

أدركت آيمي بشكل باهت غير واضح، أن رافاييل قام بإحضار الأغراض التي كانت بحوزتها إلى الداخل. قادها بعد ذلك عبر ردهة مدهشة رائعة ذات أعمدة بيضاء وسوداء لامعة، نحو المطبخ الضخم المترف، الذي يشبه الأعجوبة في عالم الأجهزة العالية التقنية. إنه ذلك الصنف من المطابخ الذي يحلم معظم العاملين في مجال تقديم الطعام

بامتلاكه يوماً ما.

- على الأرجح أنك ترغبين بمعرفة ما الذي يجري بحق السماء...!

جعل رافاييل آيمي تستقر على إحدى الكراسي المنجّدة بالجلد الطبيعي الأسود ليلائم المسطّحات المغطاة بالغرانيت، كما يتوافق مع الطاولات المتألقة اللامعة. بدا كل شيء متوهجاً متألقاً في المطبخ بسبب قلّة استعماله.

سألت آيمي بإلحاح: «ما الذي يجري بحق السماء؟».

- هل ترغبين بتناول مشروب ما؟

- لا! أرغب بمعرفة ما الذي يجري!

لم تقدر آيمي على تمالك نفسها، فقد أخذ قلبها يخفق بشدة، عندما بدأت تستعيد ذكرياتها مع هذا الرجل بعد أن ظنت أنها نسيت تأثيره فيها بشكل ما. تابعت: «لقد أخبروني... إن المرأة قالت... إنك السيد لي... لقد ظننت...».

- جيمس هو أخي، وأنا استخدمت اسم عائلته كي لا تعرفي بأنك ستقومين بإعداد الطعام لأجلي.

- ماذا؟ ما الذي تتكلم عنه؟

لم تصدق آيمي ما تسمعه، فنظرت إلى رافاييل وقد بدت مصعوقة. لم يكن الشهران الماضيان جيدين بالنسبة إلى رافاييل. كان قد أقنع نفسه أنه غير متعلق بآيمي، وأن ما جرى كان أمراً ممتعاً وعابراً، وهو فترة استراحة جاءت على خلفية انفصاله عن إليزابيث. لكن ذكرى آيمي ظلت عالقة في ذهنه رافضة أن تفارقه، وظهرت آثار تعلقه بها في كل نواحي حياته.

وجد رافاييل نفسه وقد بدأ يحدق متأملاً عبر النوافذ بدل أن يحدق في شاشة الكمبيوتر، وما انفك يفكر بآيمي في حين كان يتوجب عليه التفكير بتقارير العمل والتمعن بها وإبرام العقود. كذلك اضطر إلى كبت رغبته الملحة بأن يتصل هاتفياً بأخيه جيمس ليسأل عما تفعله آيمي. استمر ذلك الأمر إلى حد أنه لم يعد قادراً على إخماد هذه الرغبة أكثر مما فعل. لذلك اتخذ قراره بكل عزم.

لم يكن هنالك ما يمنعه من المجيء إلى إنكلترا. إنه يمتلك منزلاً هناك، فضلاً عن أنه يدير الشركة بأسرها بحق السماء! هو يستطيع تبديل مسكنه حتى لو كان قد قرر منذ وقت طويل بأن يركز طاقاته في نيويورك.

لم يساءل رافاييل نفسه أو يشكك في الأسباب التي تدفعه بقوة إلى البحث عن آيمي، فهو مقتنع أن السبب بسيط جداً؛ علاقته الغرامية بآيمي - أو هذه النزوة أو العلاقة العابرة، مهما يكن اسمها - لم تأخذ مجراها كما يجب، ليس هناك من أمر يزعجه ويضايقه أكثر من ترك الأمور عالقة، وعدم إنهاء مهماته. لقد بدأ بشيء ما، وهذا الشيء يحتاج إلى نهاية وخاتمة. كما أنه متأكد تماماً بأن آيمي تشعر بما يشعر به حيال هذا الأمر.

من ناحية أخرى، هو ليس واثقاً تماماً من ردّة الفعل التي سيحصل عليها من قبل آيمي، لكنه فكّر أنها، على الأرجح، لن تظهر ملامح الفرح والابتهاج بقوة.

- إنه أخي غير الشقيق، علي أن أقول ذلك.

- لكنك البستاني لديه...!

غمغمت آيمي بنبرة غير واضحة وهي تشعر بغرابة ما تسمعه.

أقرّ رافاييل: «ما أعرفه عن الحدائق لا يزيد عما يتسع له طابع بريدي».

- أتعني بأنك... كذبت علي؟

احمرّ وجه رافاييل لدى هذا السؤال.

- لماذا...؟ لماذا...؟ لِمَ فعلت ذلك؟

- اهدأي ودعيني أشرح لَك الظروف، فقد أتمكن من تفسير الأمر.

- أتريدني أن أهدأ؟ أنا لا أشعر بالهدوء مطلقاً! أنت كذبت علي، والآن ها أنت هنا... لماذا؟

اندفع رافاييل مبتعداً عن المنضدة، ومدّ يده إلى داخل إحدى خزائن المطبخ فتناول كوبين من الزجاج، وسكب فيهما عصير الفاكهة، وقال: «اشربي».

- أنا لا أريد العصير! بل أرغب بمعرفة ما تفعله هنا، ولِمَ كذبت علي! وأرجوك ألاّ تبدأ بإعطائي مواعظ وخطابات حول كرمك للنساء الهستيريات، فأنا أشعر بالهستيريا فعلاً!

جذب رافاييل إحدى الكراسي وجلس لمواجهتها، فأحسّت آيمي أنها على وشك الإغماء، وقالت: «لا يمكن أن تكون شقيق جيمس، فأنت لا تشبهه البتة».

تنهّد رافاييل وقال: «أنا أخوه غير الشقيق. تتشارك الوالدة نفسها، لكن والدي كان إسبانياً، وبالتالي فإن بشرتي سمراء».

- أنا لست أفهم، لم ادعيت بأنك بستاني؟

- إنها قصة طويلة، لكن...

فتر رافاييل لآيمي الوضع. لكنه أخطأ تماماً في توقعاته بأن تتفهمه ثم يتبع ذلك إماءة من التقبل. لا شك أنها فهمت تماماً ما يقوله، لكن ترافق ذلك مع نظرة رعب راحت تنتشر ببطء على وجهها.

- إذاً...!

استلقت آيمي في سريرها ليالٍ عديدة وهي تتخيل هذا الرجل، وهي مذهولة ومفتونة به. نسجت أحلاماً عديدة حوله ذات نهايات سعيدة، حيث يعلن رافاييل حبه الأزلي لها، ويمضيان بقية حياتهما وهما يبنيان معاً حديقة غناء في الريف.

أما في تلك اللحظات، فأحست كأن كرة من الكره والغيظ تتأجج في أعماقها، لأنه استغلها وجعلها أضحوكة. تساءلت إن كان قد ضحك مع جيمس على هذا الموضوع، جاعلاً منها محور نكات في غيابها.

- دعني أفهم الأمر بشكل صحيح. هل طُلب منك أن تتجسّس على شقيقك؟

- بل أراقبه. و... هو أخي غير الشقيق.

- وفي خضم ذلك التقيت بي، وفكرت بأن تتظاهر أنك شخص آخر... لأن... لِمَ فعلت ذلك؟

ضعفت آيمي لدى إفشاء رافاييل السر، وعندما استدركت الأمر أحست كأنها تلقت ضربة مطرقة على رأسها.

- لقد أطلعتك على مشاعري تجاه جيمس. ألم أفعل؟

- لا تبدأي بالتسرع في الاستنتاجات...

- بالطبع! ذكرت جيمس أمامك... في الواقع، إذا كان ما أذكره صحيحاً، فأنا سكبت مكنونات قلبي لك واعترفت بأنني مفتونة بمديري، بأخيك!

أطبق رافاييل أسنانه على بعضها وقد شعر بالاحباط، فيما تابع مجرى أفكارها وراقبها وهي تستجمع العزم والزخم.

- أهذا السبب قررت أن التكتم بشأن هويتك هو فكرة جيدة؟

اعتقدت آيمي أن لا شيء آخر يمكن أن يؤلمها أكثر من ترك رافاييل خلفها وتناسيه، لكنها كانت مخطئة، فإدراكها أنه قد تم استغلالها سبب لها ألماً أكبر. قالت بهدوء: «أنا محقة. ألست كذلك؟ تصورت أنه يمكنك استخراج المعلومات مني إذا ادّعيت بأنك البستاني المتواضع. مهما يكن، فإن عاملة تقديم الطعام المتواضعة من المرجح أكثر أن تثق بشخص من مستواها، لتستودعه أسرارها».

- بالطبع كنت مهتماً للأمر عندما أخبرتني عن مشاعرك تجاه جيمس. هل من الطبيعي ألاّ أفعل؟

- مهتم إلى حدّ أنه لا يمكنك إخباري بأنك شقيقه... آه! آسفة. أخوه غير الشقيق!

اعتقدت آيمي أن بإمكانها تذكر كل كلمة جرت بينهما لكنها الآن وهي تحاول التذكر اكتشفت أنها غير قادرة على ذلك... ليس تماماً. مرت لمحات من حديثها مع رافاييل في ذهنها، فقالت: «لا عجب أنك تعرف الكثير عن جيمس، ولا عجب أنك أخذت راحتك في إطلاعي على أنني خارج نطاقه».

- أخبرتك ذلك لأجعلك ترين الأمور بمنطق وعقلانية. إذ يسهل

التنبؤ بخيارات جيمس في النساء.

- آه... إذاً أنت كنت تقوم بحمايتي!

مرر رافاييل أصابعه من خلال شعره، وتجهّم عابساً. هذه هي المرأة التي أشاعت الفوضى في حياته المنظمة بإتقان تام، ودمرت قدرته على التركيز مرسلة عقله في دوامة. لقد فعل ما لم يكن في الحسبان، فجاء إلى لندن لملاحقتها، فما الذي وجده؟ امرأة منهكة تضايقه بزعيقها، وليست مستعدة لسماعه! كما بدأت بإطلاعه على ما يدور في ذهنها من غير أي تنقيح أو تعديل مهذب.

- آه! أنا لا أعتقد ذلك. أنت ظننت على الأرجح، بأنني أسعى خلف أمواله. أليس كذلك؟ ثم رأيت أنها ستكون فكرة جيدة أن تستطلع وتتثبّت مما أفكر به، فتكتشف ما هي اللعبة التي أمارسها... أخذت كل الأمور تتضح لي الآن بجلاء وقوة.

وقفت آيمي بعد ذلك أمام رافاييل واضعة يديها على وركيها، تتحداه أن يجرؤ على مواجهتها. أما رافاييل الذي يفتقر إلى الخبرة في كيفية التعاطي مع امرأة مغتاظة، فأدرك غريزياً أن من الأفضل ألاّ يقوم بالمواجهة.

- الآن عرفت لماذا بدوت لي شخصاً مريعاً جداً في البداية. بقيت كذلك فعلاً إلى أن قررت أن من الأفضل أن تتصرف بلطف... إذا رغبت في الحصول على المعلومات، فأنت لن تحصل عليها إذا كنت شخصاً مريعاً. أليس كذلك!

أشار عندها رافاييل قائلاً: «بدوت مريعاً لأنني اضطررت إلى إنقاذك من أعلى الشجرة في منتصف الليل».

- ثم... تلك المرات التي قبضت فيها عليك أمام شاشة الكمبيوتر... أتعلم؟ أنا في الواقع صدقتك عندما قلت لي بأنك فقط تتفقد بعض المراسلات الشخصية عبر البريد الإلكتروني!

ضحكت آيمي غير مصدقة غباءها، وتابعت: «دعنا نرى... أنت تدير الإمبراطورية... وتتفقد بريدك الإلكتروني الخاص... همم... ما من

فرق كبير بينهما. أليس كذلك؟».

حملق رافاييل في وجه آيمي وقد أخذ إحباطه يتزايد، فقال: «آه! بحق السماء...! دعينا نجلس ونتناقش بالموضوع كراشدين...».

- آه! لقد نسيت...

ألصقت آيمي ابتسامة صفراوية على فمها، وتابعت: «أنت تكره النساء اللواتي يعبّرن عن مشاعرهن بصوت مرتفع! إنه ببساطة تصرف غير راشد وغير متحضّر، حتى لدى اكتشاف المرأة بأن الرجل الذي...».

كادت آيمي تقول كلمة «تحبه» وغضبت بشدة من نفسها على الهفوة التي كادت ترتكبها. بعدئذٍ تابعت: «... وثقت به، كان يستغلها طيلة الوقت لمحاولة استخراج المعلومات منها. حسناً! أتعلم شيئاً رافاييل؟ أنا لست راشدة إلى هذا الحد، ولست متحضرة أو متمدنة حينما يتعلق الأمر بشيء كهذا!».

استدارت وهمّت بلملمة حقائبها المتنوعة التي تحتوي أدوات وأوعية ومكونات لتحضير وجبة، لم يُقدّر لها أن تحضّرها، أثناء ذلك صاحت وهي ترتجف: «كان بإمكانك أن توفر علي أجرة السيارة إلى هنا هذه الليلة، فلقد حملت هذه الأشياء كلها من أجل لا شيء!».

- حسناً! لقد ارتكبت خطأ.

تجاهلت آيمي ما قاله رافاييل، وقامت بجمع أغراضها، وبدأت تجاهد لنقلها نحو الباب.

كان بحوزة آيمي مكونات وجبة شهية لأربع أشخاص. وبالرغم من أن معظم الأطباق تم تحضيرها مسبقاً، بحيث لم يتبق إلا إضافة اللمسة النهائية عليها، لكنها مع ذلك احتاجت إلى حمل العديد من الأغراض معها.

- أنا لست مهتمة بسماع ما تنوي قوله.

قالت آيمي ببرود. فيما وقف هو أمامها سادّاً طريق الخروج عليها. إنها ببساطة، لم تتمكن من النظر إليه، لأن الأمر أشبه بالنظر إلى شخص غريب تماماً.

- سوف أنقلك إلى منزلك إن كان هذا ما ترغبين به، ويمكننا أن نتحدث أثناء الطريق إلى هناك.

- أخبرتك... أنني لست مهتمة. لقد انتهى الحديث بيننا. أنا فقط أتمنى لو لم تقع عيناي عليك منذ البداية.

تمتم رافاييل بصوت أجش: «أنت لا تعنين ذلك».

ما الذي يتوقعه؟ أدرك رافاييل أنه حقاً لا يعرف. ربما قليل من الانزعاج... نعم. لا مجال بعد الآن كي يدور حول الحقيقة، فيظهر أمامها بدوره المزيف كبستاني قائلاً إنه تمكن بشكل ما من زيارة هذه المدينة ليراها. لا يمكن تفادي قول الحقيقة، وهو أدرك مسبقاً بأن آيمي سوف تشعر بالمفاجأة بل حتى بالصدمة. لكن سلسلة الأسئلة التي قامت بطرحها، والاستنتاجات السريعة التي بنتها أمام عينيه جعلت من الصعب عليه أن يعترض بأي شكل. والآن، ها هي تتحدث عن الرحيل!

شعر رافاييل برغبة جامحة مجنونة في انتزاع الحقائب من يدي آيمي، ثم إقفال باب المنزل عليها إلى أن يتمكنا من تحديد الأمور بينهما وتوضيحها. أدرك ما يعني ذلك بالنسبة إليه، سوف ينتهيان متعانقين في حضني بعضهما.

- هل تمانع بأن تبتعد عن طريقي؟

أدرك رافاييل أن آيمي ما عادت تصرخ، فقد بدا صوتها بارداً وبعيداً. لكن ذلك بدا بشكل ما أسوأ بكثير.

- نعم أمانع.

- إذاً أفترض أننا ببساطة سوف نبقى هنا إلى أن تقرر أن تتزحزح. لكن اعلم بأنني لن أجري معك أية أحاديث حتى بعد الموت.

جلست آيمي على سطح الحقيبة التي تحتوي معظم أغراضها من الطعام الذي حملته معها، واضعة ذقنها على قبضتها، وحدّقت في مكان ما بعيداً عنه...

بدا ذهنها شارداً الآن، وعاودتها ذكريات عن علاقتها القصيرة المدى مع رافاييل، الآن، وبالنظر إلى الوراء، بدت هذه التصرفات منطقية. مثالٌ

على ذلك، طريقته في إقناعها بعدم التفوه بأي شيء لأي كان حول تواجده على أراضي الملكية. هي لم تطرح التساؤلات حول الموضوع حينها، لكن، لمَ بحق السماء يحتاج البستاني لأن يكون متكتماً إلى هذا الحد؟ ثم تذكرت قلّة اهتمامه بكل ما هو أخضر اللون. تحدثت بتوسع حول عملها وحول حبها لعملها، وحول أطباقها المفضلة، فيما مرّ رافاييل مرور الكرام على موضوع عمله، هازاً كتفيه العريضتين مبدياً عدم اهتمامه بالحدائق التي يراها.

هنالك أيضاً المسألة الصغيرة المتعلقة بشقته التي ادّعى أنها شقة تخص الشركة، وهي ذات الموقع المتميز من مانهاتن، بالإضافة إلى سيارته الرائعة... إن القائمة لا تنتهي، لدى ذكر الأمور التي أغفلت آيمي ملاحظتها. رغبت بأن تركل نفسها لعدم الانتباه مطلقاً لأي من إشارات التنبيه التي كانت تظهر أمامها.

أدركت آيمي وهي في خضمّ أفكارها الصاخبة، أن رافاييل انحنى ليصبح على مستواها، وهو ينظر مباشرة إلى وجهها بشكل قريبٍ جداً لم يعجبها، فحدّقت إليه بنظرة فارغة.

قال رافاييل بتجهم: «أنا كنت مخطئاً، وأنت سوف تصغين إلى ما لدي لأقوله سواء أعجبك الأمر أم لا. وأنا لا أنوي أن أتبادل الحديث معك وأنت تجلسين مقرفصة على الأرض».

ثم وقف وانتزعها لتقف على قدميها، لكن آيمي انقلبت عليه، وسرعان ما جذبت نفسها إلى الخلف مرتعبة.

فتحت فمها لتعيد تكرار عبارتها حول عدم وجود أي شيء تضيفه وتقوله له. لكنها ما لبثت أن شعرت برجليها تلوحان في الهواء بعد أن رفعها عن الأرض وحملها فوق كتفه، ليأخذها خارج المطبخ إلى غرفة الجلوس، حيث وضعها على الكنبة من غير تكلف أو مقدمات رسمية.

بالكاد استطاع رافاييل أن يصدق نفسه لهذا التصرف، تماماً كما لم

تصدق آيمي.

مشى نحو الكنبة حيث كانت آيمي متكومة فوق أحد طرفي المقعد، وهي تراقبه بحذر.

- كان يفترض بي أن أطلعك على حقيقة من أكون منذ البداية، لكنني لم أفعل لأنني لم أرغب بأن يُقاطع وقتي الثمين. قد أكون مجهولاً بالنسبة إلى فريق الموظفين البريطانيين لكن جميع الأشخاص الآخرين يعرفون تماماً من أكون، لذا سيتنابهم الفضول اللعين لاكتشاف سبب بقائي متوارياً على أراضي الملكية. لقد طلبت أمي مني أن أكون موجوداً هنالك، وأنا قمت بتنفيذ رغبتها.

- بالرغم من أنك شعرت برغبة إطلاعي على حقيقة من تكون حقاً، لكنك تعقلت حالاً وتمنّعت عن ذلك. فالواقع أنك قد تتمكن من اكتشاف المزيد عني وعن دوافعي، ببقائك صامتاً.

- صحيح!

أشاح رافاييل بنظره بعيداً، مسترخياً إلى الخلف في كرسيه، تابع معترفاً: «أردت أن أكتشف بنفسي إن كنت تسعين خلف جيمس لمصلحة ما».

بدّل طريقة جلوسه فأصبح ينظر إلى آيمي الآن. أما هي فكانت قد حضرت إلى هنا مهيئة نفسها لليلة من العمل الشاق، فعقدت شعرها إلى الخلف في ضفيرتين، كما ارتدت أبسط ما لديها من ملابس. لكنها في الواقع بالرغم من ذلك ما زالت تبدو جذابة، تماماً كما يتذكرها.

- حين وصلنا إلى مرحلة الحميمية التي وصلنا إليها، كنت قد أدركت أنك لست مهتمة بجيمس. وحتى لو كنت كذلك، فالمال لا علاقة له أبداً بالأمر، وهو ليس سبب إعجابك به.

لم تعجبها إشارته إلى المشاعر. كان من الأسهل بالنسبة إليها أن تركّز على موضوع خداعه لها، وأن تشعر بالغضب حياله، من دون أن تفكر فيه كرجل أمضت برفقته لحظات سعيدة.

- ألهذا الأمر أي وقع لديك؟

سأل رافاييل بنعومة، في حين بدت وضعيته مسترخية، لكن تحديقه تركز على وجهها المتورد بتيقظ وعزم.

- ماذا؟ أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه.

- آه، نعم، بل تعرفين. نحن الاثنان... معاً في مانهاتن... ألا ترغبين بمعرفة لما حضرت إلى لندن؟

- لا! وأنا لا آبه.

اعترف رافاييل: «أنا لم أقدر على إخراجك من ذهني».

- أتعني بعد أن جعلتني أنصرف من غير أن تنظر إلى الوراء حتى؟

شخرت آيمي ساخرة، وقد استعادت الذكرى المحرجة ليوم رحيلها، حين سألته إن كان بإمكانهما محاولة تمديد علاقتهما وإطالتها.

- أنا لم أكن أبحث عن علاقة غلامية مع أي شخص من هذا البلد.

قال رافاييل ذلك مفكراً بإليزابيث، ثم أضاف: «أو أي بلد آخر حتى».

- آه! كف عن التظاهر، رافاييل. أنت لم تكن تبحث عن علاقة غرامية معي أنا. ألا تذكر أنك أخبرتني بأنني خارج نطاق جيمس؟ حسناً! لم لا تواجه الأمر؟ كان بإمكانك أن تضيف اسمك على اللائحة.

أصغت آيمي بفزع إلى النبرة الحادة التي بدت في صوتها. هي لم تشعر يوماً بالمرارة قبل الآن، لأنها ببساطة ليست شخصاً يشعر بالمرارة.

- قلت لك بأنك خارج نطاق جيمس، لأنه لا يلتفت إلا إلى صنف محدد من النساء. يمكنك أن تسميه نقص في الخيال من ناحيته، إذا أردت.

- وأنت بدورك تحليت بالخيال الواسع بما يكفي لإغوائي، على الرغم من أنني لم أكن الصنف المفضل لديك من النساء.

هل قام حقاً قام بإخبارها أنها ليست الصنف المفضل لديه؟ لعلها إحدى الملاحظات العابرة التي تفوه بها، أما آيمي، فأصغت جيداً، دونت الملاحظة لتعود إليها كمرجع في المستقبل. أدرك رافاييل متأخراً أن آيمي تجيد فن الإصغاء. تساءل عندها بما عساها ستذكره الآن كبرهان على

شخصيته المريعة الاستغلالية.

أظن أن...

أحسّ رافاييل أنه يفتقر إلى الكلمات الكافية للتعبير بالمعنى الحرفي. إنها المرة الأولى في حياته التي يقبض فيها عليه متلبساً في الخطأ. عبس ونهض واقفاً ليتمكن من الطواف في الغرفة، إذ أحس أنه بحاجة إلى الحركة.

- ... أنه علينا أن نضع الماضي خلفنا الآن، ونركز على الحاضر. الحاضر الذي أتى بي إلى هنا. أنت لم تفارقي تفكيري منذ يوم رحيلك. هل تظنين بأنني كنت سأحضر إلى هنا لولا أنك تشغلين أفكاري؟ هل تظنين بأنني كنت سأعرّض نفسي لكل هذا لولا إدراكي لمدى تعلقي القوي بك؟

لم تقدر آيمي إلاّ أن تحدق برافاييل، نعم إنه متعلق بها، والتعلق شعورٌ قوي جداً. لكنها استنتجت مما سمعته الآن أنه رجل وجد نفسه قد حُرِمَ من لعبة يرغب بالحصول عليها، فقرر أن يتصرّف حيال الموضوع. رافاييل ڤايڤس رجل قد يفعل المستحيل في سبيل الحصول على ما يرغب به، حتى لو انتحل شخصية البستاني.

سألته آيمي بهدوء: «ما الذي تنتظره الآن؟ الآن بعد أن عرّضت نفسك لكل هذا؟».

- لست أدري ما الذي أنتظره...

لم يعد رافاييل يعلم ما يريده، خصوصاً أن آيمي أسقطت عليه سؤالها الذي بدا له كحمل ثقيل جداً من الحجارة. الآن للتو أدرك ما الذي يبغيه، فتابع: «ما أريده هو أن تعطي هذه العلاقة فرصة...».

- ما دمت يائساً إلى هذا الحد وترغب برفقتي الرائعة، لِمَ إذاً استغرقك الأمر هذا الوقت الطويل لتحضر إلى إنكلترا؟

- لقد حاولت... إخراجك من عقلي وتفكيري...

بدا هذا اعترافاً هائلاً بالنسبة إلى رافاييل، الذي لم يضطر مرة من قبل إلى محاولة إخراج أية امرأة من كيانه. إن مجرد اعترافه بنقطة الضعف هذه جعله يشعر أنه مكشوف.

إلا أن ما سمعته آيمي هو تصريح رجل قد حاول حقاً... حاول فعل ما أراد أن يفعله بعقلانية. أراد أن ينسى أمرها لأنها غير ملائمة له. آيمي لا تلائمه تماماً كما لم تلائم أخاه: «لكنني لم أتمكن من ذلك».

ردّت آيمي ساخرة: «كم هذا مؤسف! لا بد أنه إزعاج مقلق نوعاً ما، أن تضطر إلى الانتقال إلى هنا حتى تتمكن من العمل على إخراج هذا الأمر من كيانك».

جعل رافاييل آيمي تبدو كمرض معدٍ عليه أن يتخلص منه في أسرع وقت ممكن. لذلك تابعت قائلة: «هل فرّغت بعض الوقت لهذا الهدف؟ لنقل بضعة أسابيع؟ يفترض أن يكفي ذلك لإعادة حياتك إلى طبيعتها، ثم يمكنك أن تختفي عائداً إلى نيويورك، لتتابع حياتك حيث تركتها قبل أن أدخل أنا على الخط...».

- اسمعي، آيمي...!

- كلا، لا تشرح لي!

وقفت آيمي، وقد بدت على وجهها بضع بقع بيضاء، حين بدأ الغضب يتصاعد في أعماقها من جديد، تماماً كما لو أن بركاناً يتهيأ لينفجر مطلقاً الحمم.

- أنا قمت بإطلاعك على كل ما يتعلق بي، أما أنت فجلست هناك مصغياً، مدعياً أنك مهتم. لكنك في الواقع لم تكن مهتماً إلا بجمع الأدلة لكي تتمكن من حماية حسابك المصرفي! أهذا هو سبب موافقتك لي رافاييل؟ لكي تحاول إخراج جيمس من رأسي؟

- لا تكوني سخيفة!

أصبح لون وجه رافاييل داكناً، فكل اتهام وجهته له آيمي حمل وخزة مخزية من الحقيقة. تذكر في مكان ما في خفايا ذهنه، أنه حقاً فكّر كذلك تماماً، لكن ذلك حصل قبل أن يفقد السيطرة على الوضع، فبدأ هذا الموقف يسيطر عليه.

- إياك أن تجرؤ على القول لي بأنني سخيفة.

- إنك أكثر نساء الأرض تسبباً بالإحباط وخيبة الآمال.

- ألأنني لا أخشى التفوه بوجهة نظري؟ أدرك الآن لما أخبرتني بأنني لست من صنفك المفضل من النساء! أراهن أن النساء اللواتي تعجب بهنّ لا يرفعن أصواتهن مطلقاً، فمن يجرؤ على رفع صوته في وجه شخص مستبد مثلك؟ لا بد أنك ضحكت مطولاً مع أخيك على حسابي. هل كنت تتصل به ليلياً لتطلعه على المستجدات التي تحصل بيننا؟

- تلك إهانة لي.

ردّت آيمي على الفور: «لا! إنها ليست كذلك».

إلا أنها فعلاً كانت كذلك. تابعت آيمي: «لقد كذبت علي. أنا لا أعرف حتى من تكون الآن. من أنت؟ الرجل الذي يمتلك كل هذا...».

مدّت آيمي ذراعيها لتشمل المنزل الفخم، مفترضة أنه أحد المنازل الكثيرة التي يمتلكها وهي منتشرة في أرجاء المعمورة.

ثم تابعت متسائلة: «... أم الرجل الذي لا يمتلك شيئاً؟».

- أنا الرجل نفسه.

أخبرها رافاييل متجهماً. أدرك أن هذا الأمر لن ينجح، ولم يكن يفترض به أن يلاحق هذه المرأة أصلاً. آيمي محقة، إذا كان لا ينوي الارتباط بها، فما الهدف من هذه المطاردة؟

- نعم، كذبت عليك. سواء كنت ستقبلين الاعتذار أم لا، فأنت محقة من ناحية معينة. لا أحد منا يحتاج إلى هذا، ولم يكن يفترض بي المجيء إلى هنا أصلاً. كانت تلك غلطة، ولن أعيدك بنفسي إلى المنزل. فما من من داعٍ لإطالة ما هو واقعٌ حتماً. سوف أذهب لمناداة سائقي ليعيدك إلى منزلك، ثم... قبل أن تنطلقي بمونولوج غاضب ثائر آخر حول ما أمتلكه من أشياء أخرى، أقول لك: نعم، لدي سائق. هذا المنزل الرائع هو ملك لي أيضاً، على الرغم من أنني قلّما أستخدمه. أنا أيضاً أمتلك منازل في باريس وفي جزر الكاريبي. إذا كنت تعتبرينني كاذباً لا يمكن مسامحته، بسبب الممتلكات التي لم أخبرك عنها، أظن أن من الأفضل أن تعرفيها

كلها . . . يمكنك أن ترحلي بعيداً وتفكري ملياً بطريق الخلاص التي حصلتِ عليها، من التورط مع رجلٍ مثلي أنا.

نعم! يفترض بذلك أن يجعلها تشعر بالارتياح، لكن ذلك لم يحصل. لم يعد هنالك المزيد لمناقشته، وأدركت آيمي أنه رغب الآن في التخلص منها.

فكرت بمرارة أنها أفرطت في الزعيق والصراخ، لماذا إذاً أحسّت بالفراغ التام في أعماقها، وهي في المقعد الخلفي لسيارة الجاغوار؟ أرادت أن تستدير لتلقي نظرة وحيدة أخيرة، وعندما فعلت، كان رافاييل قد اختفى داخل المنزل.

٩ - من يطفىء النار؟

بعد مرور ثلاثة أسابيع على خروجها من منزل رافاييل، فتحت آيمي الجريدة متصفحة تلك الصفحات المملة المتعلقة بالأخبار الاقتصادية، وهناك وجدت صورة لرافاييل مبتسماً برفقة امرأة طويلة ذات شعر أسود وهي تبتسم منحنية برفق نحوه.

قرأت آيمي المقالة مراراً وتكراراً، وحدقت في الصورة مرات عديدة، حتى إنها حملتها عالياً أمام الضوء فنظرت إليها شزراً. أرادت أن ترى إن كان بمقدورها فك رموز أي من التعابير البادية على وجه رافاييل، ما قد يعطيها تلميحاً عما يدور في رأسه. كذلك دققت النظر متفحصة شريكته الحسنة المظهر، وحاولت الادّعاء بأنها لا تأبه لفكرة خروجه برفقة امرأة أخرى.

يبدو أن رافاييل ڤايڤس، بصفته رئيس مجلس الإدارة والمالك الأكبر للأسهم في شركته الواسعة المدى، قرر أن يسكن مجدداً في لندن، ليتولى المهام فيها لمدة ستة أشهر. خلال هذه الفترة هو ينوي بيع بعض الأقسام الصغيرة المحددة من الشركة، كي يتمكن من توسيع مضاربته في مجال صناعة أدوات الترفيه.

لكن الحقيقة الوحيدة التي رغبت آمي بمعرفتها هي هوية تلك السمراء الواقفة إلى جانبه. أخيراً وضعت الجريدة في سلة المهملات، لتستعيدها من تحت قشور البطاطا بعد مرور ثلاث ساعات. ثم تابعت التمعّن فيها بتباطؤ لمدة ثلاثة أيام.

اختفى سبات آيمي وخمولها، ليفسح المجال للنشاط الغاضب. اختفى

www.elromancia.com

شعورها بالركود، وحلّت محله الحيوية الحادة المتململة التي لا تعرف الراحة، ما جعلها تشعر بالارهاق لدى نهاية نهارها العادي.

كانت آيمي قد علّقت المقالة على الثلاجة بقطعة من المغنطيس، فأخذت تحدّق فيها كل صباح أثناء تناولها فطورها المكون من الحبوب إلى طاولة المطبخ، وقبل مغادرتها إلى دورتها التعليمية. كما تأملتها كل مساء وهي تتناول وجباتها المتقنة الصنع، التي كانت تعدّها بهدف التمرن.

استمر حال آيمي في التأرجح لمدة أسبوعين، إلى أن قامت بما هو غير متوقع: التقطت سماعة الهاتف وقامت بالاتصال بجيمس! حدثته آيمي بالأمور المعتادة، وأخبرته أنها تحرص على ألاّ ينسى اسمها. كما ذكرت له رغبتها بافتتاح مطعم خاص بها، وسرّت عندما أخبرها جيمس أنه سيسعد باستثمار بعض الأموال في هذا المشروع، فكل ما عليها فعله هو إخباره عن المكان والزمان، حسناً! لمَ لا تفتح مطعماً عوضاً عن التشبث بحلم قد لا يتحقق أبداً؟ بعدئذٍ ذكرتْ آيمي - كما لو أن ذلك أمراً ثانوياً - بأنها قرأت في إحدى الجرائد خبراً عن قرار أخيه رافاييل بأن يستقر في لندن لبضعة أسابيع لأجل العمل.

قال جيمس ممازحاً: «آن الأوان لأن يستخدم منزله ذاك. لقد قصدت ذلك المكان بضع مرات، وهو يشبه الضريح الفخم، لكن يبدو أنه لن يبقى كذلك لفترة طويلة، فإليزابيث ستصحح الأمر قريباً».

- إليزابيث!

أحسّت آيمي بالدم يتسارع متصاعداً نحو رأسها، وشكرت الله أنها لا تتبادل هذا الحديث معه وجهاً لوجه.

- آه! آسف. هل بدوت عديم الذوق؟ أعرف أنكما كنتما على علاقة... شيئاً ما كان يجري بينكما...

- آه، بحق السماء! كان ذلك لقاءً عابراً، جيمس... لفترة قصيرة جداً! في الواقع لم يخطر ببالي أخاك مطلقاً إلى أن رأيت تلك المقالة المتعلقة به في الجريدة ذلك اليوم.

- أية مقالة؟ كتب عنه العديد من المقالات هذه الفترة. عندما يعزم رافاييل على القيام بشيء يتوقف العالم للإصغاء. أما حالياً فإنهم يستمعون بشدة، لأن الخطوة القادمة قد يكون لها وقع كبير على أسواق البورصة والعملات.

- آه، صحيح! طبعاً.

تساءلت آيمي كيف يمكنها أن تعيد مجرى الحديث بعيداً عن موضوع الأسواق المالية المميت، نحو الموضوع الأكثر إلحاحاً المتعلق بإليزابيث. من هي إليزابيث، بحق السماء؟ كيف، بحق السماء، تمكن رافاييل من التعرف إلى امرأة مثلها في غضون هذا الوقت القصير؟

عندئذٍ، تذكرت آيمي ملايينه وثروته الطائلة. إنه ذلك الصنف من الأموال الذي قد يجذب أية امرأة مهما كانت بعيدة، وفي أي بلدٍ كانت. أما إذا أضفت مظهره الساحر الشديد الجاذبية إلى هذه المعادلة، فعلام تحصل؟ تحصل على إليزابيث.

- كان رافاييل يخرج برفقة إليزابيث في نيويورك.

أخبرها جيمس بذلك، فأصغت آيمي إلى الحديث منقطعة الأنفاس.

- أحقاً؟

قالت آيمي ذلك محاولة الحفاظ على المستوى الصحيح المناسب من الاهتمام المهذب اللائق. فكرت أن ذلك قد يدفعه إلى التوسع بالموضوع، لكنه للأسف لم يفعل. بدّل جيمس لي مجرى الحديث تماماً حينما بدأ يصبح مشوقاً، فطلب منها أن تبقى على اتصال به، وتعلمه عندما تقرر افتتاح ذاك المطعم الخاص بها.

- رائع!

بالطبع هي تعلم أين يمكن أن تقيم إليزابيث الغامضة تلك. أين تراها تكون سوى في منزل رافاييل الفخم في وسط المدينة؟

خلال الأسابيع القليلة المنصرمة كانت حياتها تعيسة بما فيه الكفاية، إذاً، لِمَ لا؟ لا بد أن غرورها سوف ينهزم بشدة، لكن بدا لها أن استمرار

www.elromancia.com

العذاب حفاظاً على الغرور هو معاناة قاسية جداً.

أنهت آيمي مكالمتها الهاتفية وقد تكون في رأسها هيكل مبهم لمخطط ما. قد يتطلب الأمر منها بعض التجسس والاتصال بأصدقاء يدينون لها بخدمات. شعرت بالغثيان لدى تفكيرها بالأمر، لكن عندما فكرت بالأيام الفارغة اللامتناهية الممتدة أمامها، أحسّت بالغثيان أكثر.

كانت كلير ما تزال تعمل لدى شركة رافاييل وجيمس، إلا أن آيمي بقيت حتى الآن متكتمة، فتجنّبت أن تطرح الأسئلة على صديقتها في ما يتعلق برافاييل.

اعتزمت أن تعيد النظر بالأمور لمدة يوم أو اثنين على الأقل، لكن ذلك القرار النبيل لم يدم إلاّ الوقت الذي استغرقها للاستحمام. أخذت بعدئذٍ تتحدث مع كلير عبر الهاتف، والمنشفة ما تزال ملفوفة حول جسدها. تخطت آيمي الثرثرة الممتعة المعتادة، ودخلت مباشرة في صلب الموضوع.

- إذاً دعيني أستوضح الأمر، أنت تريدين مني أن أتحرّى عن جميع تحركاته، فأعلمك بها.

- يمكنك أن تتجولي في أرجاء طابق المدراء ذاك وأنت تحملين صينية السندويشات في يدك، ثم تستخرجين المعلومات مستعينة بجولي.

- جولي لم تعد تعمل لديه. هنالك امرأة جديدة، يبدو من مظهرها أنها من النوع الذي يلتهم الأطفال الصغار عند الفطور!

لقد وقعت في غرام رافاييل من غير أن تتأمل شيئاً، ثم صدّته لأنها رغبت بأكثر مما عرض عليها بكثير. أما الآن فقد سنحت لها الفرصة الكافية لاختبار ذاك الشعور الصغير الشرير الخطر، الذي يدعى الندم. إنه الشيء الذي أيقظها باكراً صباح أحد أيام الآحاد، فملأ رأسها وسيطر عليه. بعد ذلك، أصبح الاسترخاء وتمضية الوقت الممتع ذكرى بعيدة جداً.

أتت كلير حاملة الورقة الرابحة بعد مضي يومين من الجهود والتوتر. جعل ذلك آيمي تفكر في إيجابيات وسلبيات ما تنوي الإقدام عليه.

يوم الأربعاء، سوف يعمل رافاييل حتى وقت متأخر. علمت كلير ذلك لأنه سيترأس اجتماعاً للمدراء، لن ينتهي الاجتماع حتى الساعة الثامنة والنصف مساءً. لكن رافاييل سيتابع العمل من مكتبه، عوضاً عن المغادرة معهم، لذلك طلب منها عن طريق مساعدته المخيفة تلك، أن تحرص على إعداد وجبة خفيفة له، فلربما شعر بالميل إلى تناول الطعام.

أملت مع اقتراب فجر الأربعاء، ألاّ يكون هنالك تبديل في المخطط. إنها بغنى عن صدمة يسببها اللقاء بأي شخص قد يتمكن من التعرف إليها. أما كلير التي حققت المطلوب منها، فرفضت أن تتقدم في الأمر خطوة أخرى، فتعمل مراقبة لصالح آيمي.

مع حلول الساعة التاسعة مساءً، كانت آيمي تثرثر مع الرجل المسؤول لدى مكتب الاستقبال. ولأنه كان يعرفها، لم يطرح أية أسئلة غريبة، لحسن الحظ. بعدئذٍ تسلّلت آيمي صعوداً نحو الطابق الخاص بالمدراء، لكنها تجنبت استعمال المصعد، فقد تراءى لها أن أبواب المصعد ستنفتح فجأة، ليظهر جيمس مع فرقته من الرجال السعداء، ذاهبين في طريقهم نحو مطعم كوفنت غاردن.

ساد السكون والهدوء على الطابق، وبدا من الواضح أن الاجتماع قد انتهى منذ فترة، لأن آيمي مرّت بمحاذاة قاعة مجلس الإدارة التي حملت آثار فوضى عشوائية. لاحظت كوم الأوراق وأقلام الرصاص والحبر مبعثرة، أما آلة العرض الضوئية فكانت ما تزال في موقعها، بالرغم من أنها مطفأة.

عبرت آيمي متخطية قاعة مجلس الإدارة، واستدارت بمحاذاة البهو المركزي الصغير، الذي تم ترتيبه ليكون مكان جلوس غير رسمي. تبعت آيمي حدسها، وفي آخر المطاف رأت وهج نور قادم من مكتب في نهاية الممر. تعرف آيمي أرجاء ذاك الطابق جيداً، لذا أدركت حالاً أن المكتب الذي يشغله رافاييل الآن يخص جيمس.

تمهلت لبرهة إلى جانب الباب، بعيداً عن نظره، حيث ما زالت الفرصة سانحة أمامها كي تبدل رأيها، لكنها سرعان ما خطت إلى الداخل قبل أن

تتصرف على نحو جبان، فتتخلى عن مخططها. تمهلت بضع لحظات لكي تراقبه، لأنه لم يكن قد رآها بعد. كان رأس رافاييل محنياً، قد ظهر العبوس على وجهه، فيما راح ينقر برأس قلمه على رزمة صغيرة من الأوراق.

رافاييل ڤايڤس البستاني. رافاييل ڤايڤس الثري، المليونير! لقد أخبرها بأنه هو الرجل نفسه، لكن بدا لها من الصعب ألا تهاب هالة القوة والنفوذ التي تحيط به. إنه جنون! خصوصاً أنها أمضت بضعة أيام مع هذا الرجل، ضحكت معه، وأجبرته على شراء بنطلون من الجينز!

أصدرت آيمي سعلة صغيرة ونظرت إلى الأعلى. صُدم رافاييل نوعاً ما لرؤيتها، فدخلت مسرعة إلى الغرفة في تلك اللحظة تماماً، قبل أن يتسنى له الوقت ليقول أي شيء. لم تكن في الواقع قد قررت ما الذي تنوي قوله، على الأقل ليس تفصيلياً. لكنها قررت إلى حد بعيد أن تتصرف على سجيتها، آملة أن يفلح الأمر.

- سمعت أنك قررت المكوث في لندن لبعض الوقت.

قالت آيمي ذلك وهي تخطو داخل عرين الأسد، مغلقة الباب خلفها. تساءلت على الفور إن كانت تلك خطوة سيئة. وتابعت قائلة: «... كنت مارة في هذه الناحية، لذا فكّرت أن أمرّ بك...».

نظرت آيمي إلى وجهه الوسيم الذي يسلب الألباب، متسائلة كيف عساها تتعاطى مع الأمر، إذا ما رماها خارجاً من غير أن يطرح أية أسئلة.

- آه! أحقاً؟ كنت ببساطة مارّة من هنا، أليس كذلك؟ في طريقك إلى أي مكان بالتحديد؟

قال رافاييل ذلك وهو يدفع كرسيه بعيداً عن المكتب كي يستلقي إلى الوراء، ويعطيها كامل انتباهه من غير تشتت.

- آه... المنزل... أنت تعلم...

- كلا، في الواقع، أنا لا أعلم، لكننا سندع الأمر جانباً. أنت مررت

بي... لأي سبب؟

- هل تمانع لو جلست؟

- لن تمكثي هنا، لذا ما الداعي لذلك؟

ضغطت آيمي على نفسها وقالت: «أنت محق، ما من داعٍ مطلقاً».

- لماذا أتيت إلى هنا؟

كان رافاييل قد ألغى موعده مع إليزابيث، لأن لديه الكثير من العمل الذي يجب إنجازه، أما الآن فهي تنتظره في المنزل وقد أرهقها نهار طويل أمضته في ارتياد المعالم السياحية في المدينة. أخذت إليزابيث إجازة لمدة أسبوعين، في محاولة لإصلاح الأوضاع المتأزمة بينهما، لكن ما الذي يفعله رافاييل؟ إنه يقضي معظم وقت فراغه في العمل. لقد كره نفسه لذلك، لكن اتضح له أن مصالحته مع إليزابيث هي كارثة حقاً. إن علاقتهما سطحية، لذا كان من الأجدى له أن يدعها على حالها.

- لأكون صادقة تماماً معك جئت إلى هنا لأكتشف كيف هي أحوالك، وأتمنى ألاّ أكون قد أزعجتك.

- ما الذي كنت تتوقعينه؟

بدا صوت رافاييل بارداً كأنه يدعوها إلى الانصراف. شعر بالغضب الذي بدأ يتأجج في داخله، فانزعج من نفسه لأنه لم يشأ أن يستسلم للغضب. أراد أن تبقى آيمي قابعة في العلبة التي وضعها فيها، في مكان ما من أعماق ذهنه، على مسافة آمنة بعيدة عنه، فيفيها تحت عنوان: «التاريخ الماضي» عندها سوف يصبح قادراً على التحكم بالظروف.

- هل توقعت أن تفرش أمامك السجادة الحمراء ترحيباً بك؟

- كلا! لكن بعض اللياقة ستكون جيدة!

فكرت آيمي بعدما زعقت مجدداً، ما خطب هذا الرجل؟ ثم تابعت قائلة: «أنا آسفة. ما كان يفترض بي القدوم».

- كيف علمت أنني قررت البقاء هنا؟

- كلير... كلير أخبرتني، أتذكرها؟ كانت معنا في الهامبتون خلال

الرحلة الخاصة بالشركة...

تراءى لآيمي انفجار متسارع من الذكريات، فاضطرت إلى جرجرة نفسها لتعود إلى الحاضر، إلى الرجل اللامبالي الجالس أمامها الآن.

- جاسوسة في الشركة!

- بالكاد.

- أتعنين أنك سألتها عني؟

- كلا! ذكرت الأمر بشكل عابر نوعاً ما...

أملت آيمي ألا تتسبب في إيقاع صديقتها في ورطة، لا مجال أبداً لأن تدعه يعرف بأنها اتصلت بأخيه جيمس... لا مجال!

- شعرت بالفضول، لأكتشف لما قررت المكوث هنا. هذا كل ما في الأمر.

- هل اعتقدت بأنني سافرت في هذه الرحلة إلى لندن خصيصاً لمطاردتك؟

- أنا لم أعتقد ذلك مطلقاً! على أي حال... سأذهب الآن.

استدارت آيمي مهزومة، وتوجهت عائدة نحو الباب. لو أنها تصرفت كشخص عقلاني، فجلست لتتمعن بهدوء في فكرتها المجنونة عوضاً عن التصرف باندفاع وتسرع، لتمكنت من التنبؤ بالنتيجة التي ستحصل عليها. هي التي صدته، وهو لن ينسى ويسامحها بسهولة، فقد جُرح غروره على الأرجح.

- فكرت بالتوسع في أعمال الشركة، وبدت لي لندن سوقاً يمكن التحكّم بها أكثر من أسواق الولايات المتحدة. توافق هذا مع رغبتي بالتجدد، وهكذا كانت رحلتي إلى هنا.

قال رافاييل ذلك مستوقفاً آيمي التي هرعت مسرعة نحو الباب.

- آه! جيد.

قالت آيمي ذلك بشكل مبهم. وكالعادة، فقدت اهتمامها بالاصغاء حالما تحول الحديث إلى الأعمال.

- نعم. إن إليزابيث تظن ذلك أيضاً...

ضبطت آيمي أفكارها، وحاولت أن تبدو كما لو أن الاسم لم يعنِ لها شيئاً البتة، فقالت: «من هي إليزابيث؟».

- إنها المرأة التي أخرج برفقتها.

لم يستطع رافاييل أن يمنع وخزة الرضى التي أحسّ بها لدى رؤية ردّة فعل آيمي، فقال لآيمي: «خرجت برفقتها لبعض الوقت في نيويورك، ثم قررنا أننا بحاجة إلى الابتعاد عن بعضنا قليلاً».

- أكان ذلك حين تعرّفت إلي؟

- نعم.

- والآن بعد أن أنهيت مغامرتك معي، قرّرت أنه آن الأوان لأن تصلح الأمور بينك وبين صديقتك السابقة.

بدأ الجزء المقاوم في أعماق آيمي بالتدخل، فتذكرت بأنها أتت إلى هنا لتحاول الحصول على رافاييل مجدداً، فمن دونه تبدو حياتها فارغة تماماً. أومأت بتعقل، واندفعت نحو الكرسي. حسناً! طلب منها رافاييل ألاّ تجلس، لأنها لن تمكث طويلاً، لكنها لا تنوي الاكتفاء بهذا القدر من الحديث الآن.

سألها رافاييل مشككاً: «ما الذي تعنيه هذه الحركة؟».

- ما رأيك في تناول الشاي معاً في مكان ما أو تناول بعض الطعام إن لم تكن قد أكلت بعد؟

كان رافاييل قد خطط أن يعمل بشكل متواصل للساعة القادمة أو ما شابه، على الرغم من إدراكه أن إليزابيث ستكون بمفردها هذا المساء، لكنه لم يتوقع ظهور ذاك الجزء الصغير من ماضيه فجأة. في الواقع هو لم يعرف لماذا فعلت آيمي ذلك، إن آيمي جاءت إلى هنا لسببٍ ما، وعليه أن يعرفه، لذلك وقف وأومأ إيماءة قصيرة.

- كنت سأخرج في الواقع، لذا، لِمَ لا نتناول الشاي بسرعة بحق الماضي الذي كان بيننا؟

حالما دخلا إلى المصعد، قالت آيمي: «إذاً، من الجيد أن تكون صديقتك الحميمة هنا برفقتك. لكنني أستغرب أن تقوم بالبحث عني وتطلب مني المجيء إليك، حينما يفترض أن يكون تفكيرك منشغلاً بالعودة إلى علاقتك مع صديقتك السابقة. لمَ فعلت ذلك؟».

لطالما تركت آيمي أمر المطاردة للرجال، فقد ترسّخ في ذهنها، أنه يفترض بالرجل أن يقوم بملاحقة الفتاة وليس العكس. لكن لمَ عساهم يفعلون ذلك؟ تربّت آيمي على مبدأ الإيمان بما تريده، مقتنعة أن عليها ملاحقة هدفها لأنها قادرة على الحصول على كل ما تريده. إذاً لمَ عساها لا تستخدم ذلك الآن لملاحقة الشيء الوحيد الذي ترغب به حقاً في الحياة: رافاييل؟

- أظن أنك أسديت لي خدمة بجعلي أدرك أن الانجذاب المتبادل لا يعني بالضرورة رفقة طويلة المدى... ذلك بالنسبة إلي، على الأقل. العلاقة المستمرة يجب أن تكون مع امرأة لا تقضي معظم وقتها بالصراخ.

أخذت آيمي نفساً عميقاً، وقررت ألا تصرخ على الرغم من أنها رغبت بذلك. تمسكت بالجزء من العبارة المتعلق بالانجذاب المتبادل. لم يكن ذلك ما رغبت به، لكنها ترى الآن أن ذلك أفضل من عدم الحصول على شيء أبداً.

- أتعلم، يقال إن الصراخ في الواقع مفيدٌ للروح.

- أحقاً؟ أنا لم أسمع بذلك.

كانا يتحدثان وهما يسيران بالتجاه المقهى.

- نعم. إنه صحيح تماماً! إذا لم تصرخ، فسوف تفقد الاتصال مع الأنا، الذي هو الجزء الحيوي والنشيط فينا.

شعر رافاييل برغبة في الابتسام لكنه ردّ عليها: «لم أسمع أبداً في حياتي هراء عديم المعنى كهذا. هل ترغبين بكوب من الشاي؟».

- حسناً!

راقبت آيمي رافاييل فيما هو متوجه نحو منضدة المقهى. وتساءلت كيف

يمكنها أن تكبت غضبها أمام واقع إخفائه الحقيقة عنها، وجعلها تصدق أنه شخص آخر.

حسناً! ما السوء في محاولة اكتشاف المزيد عن هذه المرأة الغامضة التي يرافقها؟ سواء أقر رافاييل بالأمر أم لا، فهو ليس متعلقاً بها بقوة، فهو قد تخلّى عنها مرّة من قبل!

تعلّقت آيمي بهذه الفكرة، كما يتعلق الغريق بحبال النجاة. قالت حالما ناولها رافاييل كوب الشاي: «إذاً، كيف هي؟».

- إليزابيث؟ لم أنت مهتمة؟ أهذا هو سبب هبوطك عليّ فجأة هكذا؟ لتكتشفي إن كنت ما أزال موجوداً، وإن كنت أخرج برفقة إحداهن؟

- حسناً! سأعترف لك. رأيت صورتك في الجريدة منذ بضعة أيام. كانت هنالك مقالة حول بقائك هنا لتقوم بعمل ما...

- وهكذا استسلمت لفضولك، وقررت المجيء إلى مكتبي لتكتشفي ما الذي يجري، على الرغم من أن الأمر لا يعنيك.

حاولت آيمي إيجاد ردّ عقلاني منطقي على ذلك، ففشلت.

- حسناً! إليزابيث هي امرأة... فاتنة، مستقلة، ذات مهنة ناجحة في مجال الحقوق. في الواقع إنها محامية، وسوف تصبح قاضية قبل بلوغها الأربعين من العمر.

فجأة بدا لآيمي أن الجبل الذي أقدمت على تسلقه بالغ الانحدار، ومن المستحيل الوصول إليه. فقالت: «آه! أفترض أنها ليست من النوع الذي يتابع تلفزيون الواقع، والذي يمضي مدة أسبوعين قبل حلحلة اعتماده المصرفي».

- ليست من ذلك الصنف، لا!

- كيف تعرّفتما على بعضكما؟ هل كنت... تخرج برفقتها حينما... حينما... نحن...

ردّ رافاييل بصوت حاد: «لا!».

استغرقت آيمي في التفكير وظهرت على وجهها ابتسامة كئيبة قبل أن

تقول: «لا بد أنك فوجئت لدى التعرف بي، فأفترض أن إليزابيث لا تتسلق الأشجار».

تساءلت آيمي كيف عساها فكرت أنه يمكنها أن تحارب لأجل الحصول على هذا الرجل! فقالت: «لمَ انفصلت عنها؟».

هزّ رافاييل كتفيه... علاقته لا تعنيها هي. لكن... بحق الجحيم، لا بد أن الأمر تطلب من آيمي الجرأة، حتى تأتي إلى مكتبه وهي تعلم أن ردّة فعله ستكون أبعد ما يمكن عن الترحيب، ولكي تعلن بوضوح أنها ترغب بأن يعودا صديقين مجدداً.

- كنا بحاجة إلى فترة استراحة من بعضنا البعض. كلانا نعيش حياة سريعة، واعتدنا على رؤية بعضنا البعض على عجل، وهذا أمر لا يساعد في إنجاح العلاقة.

تساءلت آيمي إن كان الوقت الذي أمضياه معاً قد ساعد ليعود إلى صديقته السابقة. أي حينما أخذ استراحة، تاركاً وراءه حياته السريعة الخطى. فكرت أنها لو كانت إنسانة كريمة النفس، لشعرت بالسرور لأنها جمعت، ولو في غفلة منها، شخصين منفصلين فأعادتهما إلى بعضهما. لكنها عوضاً عن ذلك قررت بأنها شريرة إلى حد بعيد، تتمنى لو أن المرأة الحقيرة بقيت حيث هي خارج الصورة.

قالت بمرارة: «أنا متفاجئة لكونها تمكنت من أخذ استراحة من حياتها السريعة. هل تنتابها عوارض التراجع؟».

أحسّ رافاييل بحماسة الانتصار حينما بدت تعابير آيمي متوترة، فقال: «أنا أحرص على تخفيفها».

- وهل يكون ذلك بتركها وحيدة، في حين أنت تتناول الشاي برفقتي؟

نظر رافاييل إلى شعر آيمي الأشقر الجامح وإلى وجهها اللطيف المعبّر، فدُهِش لقدرتها على جعله يشعر بهذا الإحساس البدائي.

- يذكرني هذا بأنه علي الرحيل.

أنهى رافاييل كوبه ونهض، إذ ذكره السيد النبيل في داخله بأن لديه

صديقة تنتظره. وهي امرأة ذكية لائقة تستحق أن تُعامل باحترام.

- لكن أولاً... أخبريني لِمَ أردت معرفة أي شيء يتعلق بإليزابيث؟

أدخل رافاييل يديه في جيبيه وانتظر آيمي وهي تحشر نفسها في سترتها الصغيرة المقلمة.. جرجر رافاييل نظره بعيداً عنها بصعوبة.

دفعت آيمي الباب ففتحته، لتواجه بالعتمة في الخارج، لذا لم يتمكن رافاييل من رؤية تعابير وجهها، حين قالت: «لأنني أمضيت وقتاً طويلاً وأنا أفكر بك. حسناً! أعترف أنك... سببت لي الألم».

رفعت آيمي نظرها نحوه، فأزعجتها العتمة التي أخفت تعابير وجه رافاييل. ماذا لو كان يكتم تثاؤبه؟ قالت متابعة: «لا أحد يحب أن يشعر بأنه مخدوع، ولا أحد يحب أن يشعر شخص آخر حياله بأنه يستهدف أموال شخص ثري».

سألها رافاييل: «إذاً، ما الذي تفعلينه هنا؟».

ردّت آيمي بشكل عابر: «آه! جئت لمحاولة استعادة علاقتنا مجدداً».

ثم مدّت يدها لتلوح لسيارة أجرة، وتابعت: «أدركت أنه يمكنني التمسك بمقاومتي، والتعالي إلى حد يمنعني من الاتصال بك مجدداً، كما يمكنني ابتلاع غروري وإعطاء علاقتنا فرصة... لكن ذلك كان قبل...».

لفّ رافاييل أصابعه حول معصمها، وشدّها نحوه قائلاً: «قبل ماذا؟».

- قبل أن أتحدث إليك.

قالت آيمي ذلك متنهدة، ثم تابعت: «لم أدرك أنك متعلق بصديقتك الحميمة السابقة. عندما وصفتها لي... في الواقع، استطعت أن أرى أنها امرأة ملائمة لك تماماً. إنها حتى تشبهك نوعاً ما! إنها طويلة متزنة وذات شعر أسود مثل شعرك. لكن الأهم من ذلك، أنكما متشابهان في التفكير. أراهن أنها تفهمك حقاً عندما تشرع بالتحدث عن الاقتصاد العالمي!».

إن حقيقة جهل آيمي لكيفية عمل الاقتصاد العالمي كانت موضوع نكتة صغيرة بينهما.

- أراهن أنها لا تتثاءب وأن عيناها لا تنغلقان عندما تحاول إفهامها

بأن أسواق المال في الواقع هي ذات جدوى وأهمية!

أصدر رافاييل صوتاً أشبه بالأنين دليل موافقته على ملاحظتها. إن كان رفضها له قد ترك أثراً على غروره طيلة هذه الأسابيع، لوجب عليه أن يشعر بالسرور الآن بسبب وقوفها أمامه بعينيها المتسعتين، معترفة بضعفها أمامه. حسناً! إنه كذلك.

- إذا كنت تخرج مع أحداهن... وأنت لست معجباً بها إلى حد كبير... وهي غير ملائمة لك...

تنهدت آيمي وعضّت على شفتها بقوة.

- كنت ستحاولين النيل مني. أليس كذلك؟

ردّت آيمي بسرعة: «لم أكن لأجبرك على أي شيء. أنا أعلم أننا لسنا حقاً نعمل على الموجة نفسها، لكنك محق... ربما من الأفضل ألا يتابنا هذا الشعور من الانجذاب المتبادل. فالأمر...».

نقّحت آيمي كلامها، خشية أن يظن رافاييل أنها ما زالت تنوي ملاحقته، كما يفعل بعض العاشقين المهووسين، فتابعت: «... الأمر في الواقع لا ينطبق عليك. أنت وجدت امرأة أحلامك، و... صدقاً رافاييل، أنا أتمنى لك الأفضل في الحياة».

وقفت على أصابع قدميها وبسطت راحتي يديها على صدره في حركة ودية لتبرهن له بأنها تستطيع تقبل الخسارة بروح رياضية، حتى لو كان الأمر يؤلمها كالجحيم.

لم يشعر رافاييل بنفسه عندما مدّ يديه تلقائياً للإمساك بمرفقيها، ولم يعِ أنه أخفض بصره لينظر إلى وجهها الرقيق، وبالكاد أدرك أنه أسرها في عناقه محولاً اللمسة الودية إلى عناق خفيف إزداد عمقاً أكثر فأكثر... إلى أن جرف كل فكرة في ذهنه المتعقل.

استعاد رافاييل رشده فجأة. أما آيمي التي كانت ما تزال مستغرقة في سحر عناقه، فأحسّت به يتصلب ويندفع مبتعداً، وبالطبع فعلت مثله.

- لا تقل أي شيء رافاييل!

انسحبت آيمي إلى الخلف ومدت يدها كي تلوح لسيارة أجرة. كانت الطرقات ما تزال مكتظة، وأملت أن تأتي إحدى السيارات الفارغة بسرعة لتوفر عليها إذلال التحدث عن هذا المشهد الصغير غير المريح. وكان الحظ حليفها...

- لقد تعانقنا ويسرّني أننا فعلنا ذلك، لكن هذا لا يعني أنني لا أتمنى لك السعادة، لأنني أتمنى ذلك فعلاً. كل شخص يستحق شريكاً مناسباً، وأنت وجدت شريكتك.

وبسرعة فتحت باب سيارة الأجرة واندفعت متسللة إلى داخلها.

www.elromancia.com

١٠ - وانفجر البركان!

ارتشف رافاييل فنجان قهوته متمعناً ببطء وتزمت في ما يجري معه.

ما زالت آثار رحيل إليزابيث المتسرع في اليوم الفائت بادية في المنزل. جلس رافاييل في المطبخ حيث القدور والمقالي في المجلى تنتظر من يغسلها. علم رافاييل أنه لو نظر داخل الثلاجة، لوجد تشكيلة واسعة من الأطعمة الصحية، بالإضافة إلى علب كرتونية تحتوي عصير الليمون الطازج. كان رافاييل في ما مضى يقدّر التزام إليزابيث بحميتها الغذائية. كيف عساه ظنّ بأن لندن قد تعيد الحيوية إلى علاقتهما؟

في الواقع فكر أن حياته لم تتعرض يوماً إلى تغيير جذري كهذا من قبل. لم يعرف ماذا يسمي ذلك، فحياته تحولت إلى فوضى بواسطة امرأة نحيلة، ساحرة ذات شعر أشقر.

آيمي هي أبعد ما يمكن عن رأيه بالمرأة المثالية الكاملة، إلى درجة أنه فشل تماماً في ملاحظة الأسلوب الذي دسّت فيه أنفها في حياته، فأثّرت عليه بشكل كبير. حصل ذلك كله من خلال بضعة أيام قصيرة استغرقتها للسيطرة على ذهنه تماماً.

قاوم رافاييل رغبته الملحة بأن يسكب لنفسه فنجان قهوة آخر، وعوضاً عن ذلك تناول بعض المياه من الزجاجة. كانت زجاجات المياه المعدنية مصفوفة على رف كامل في ثلاجته كأنها صف من جنود. وكما هو متوقع، فإن بقية الرفوف اكتظت بالخس والخضار والفاكهة وأنواع اللبن الزبادي. وهناك مرطبان من الزيتون أطلّ من خلف صلصة خاصة بالسلطات فبدا له أن هذا يلخّص علاقته بإليزابيث.

شرب رافاييل الماء بجرعة واحدة، ثم ذهب لإحضار سيارته. بإمكانه أن يوفر على نفسه عناء التعامل مع زحمة السير في لندن، عبر الاتصال بسائقه. لكن آخر ما يريده هو وجود شاهد على تعرضه للاحراج المحتمل.

فكر رافاييل في سره بأن عليه مواجهة الأمر، فلِمَ ستقبل آيمي بالعودة إليه، بعد أن قام بصدها بأدب مرة ثانية؟ قد لا تكون مغرمة به، لكنها أرادت استكشاف ما يجري بينهما، أما هو فقد رفضها لغبائه، ليست بنفس الغنى والتميّز، كالنساء اللواتي اعتاد مواعدتهنّ.

فكر رافاييل بإليزابيث متأسفاً بعمق على الألم الذي تسبب لها به. لكنها تقبلت الأمر بشكل جيد، تماماً كما توقع منها، من غير صراخ أو زعيق.

- أظن أن هذه العلاقة لن تنجح على أي حال.

قال رافاييل لإليزابيث، التي نظرت إليه بهدوء، ورأسها مائل إلى أحد الجانبين، فأومأت.

- لكننا منحنا الأمر فرصة أخيرة، رافاييل.

قالت إليزابيث ذلك بحزن على الرغم من ابتسامتها، أمر جعل رافاييل يشعر أكثر فأكثر بأنه نذل. تابعت إليزابيث: «أظن أن من الأفضل أن أرحل...».

أومأ عندها رافاييل متمالكاً نفسه، حتى إنه عرض عليها مساعدته لتوضب أغراضها. لكنه شعر بالارتياح لدى رفضها لعرضه بكل هدوء.

قاد رافاييل سيارته باتجاه منزل آيمي ببطء. استغرقه الأمر نهاراً بأكمله ليحاول تصوّر نفسه وهو يقوم بذلك. أما الآن، فقد هبط الظلام، والجو بارد، وذلك وقت ملائم ليقوم بما ينوي القيام به.

أخيراً أوقف سيارته أمام منزل آيمي، فأطفأ المحرك. لطالما تسارع إفراز الأدرينالين في جسد رافاييل لدى إقدامه على إتمام صفقة ما. إن التقدم بعمل لاستثمار مبالغ طائلة من الأموال، يبعث في نفسه ذلك النوع من الحماس. لكن أياً من ذلك لم يجعله يشعر بالضعف المسبب للغثيان، كما يحدث معه الآن، وهو واقف يحدق في باب المدخل الأمامي لمنزل آيمي في

العتمة.

ربما كان عليه ببساطة أن يتصل بها هاتفياً، مقترحاً أن يلتقيا في مكان محايد. ثم يعترف أنه كان مغفلاً، وأنه منجذب إليها بشدة إلى حد يدفعه إلى الجنون، وأن بإمكانهما حل مسألة المسافة بين البلدين بطريقة ما. لعلّ الصدق هو التدبير الحكيم الأفضل! ما دفعه إلى التساؤل عما سيقوله لها الآن.

سيخبرها مباشرة أن إليزابيث لم تعد في الساحة الآن. اعتقد رافاييل أن هذا الجزء سيكون الأسهل، أما الأقل سهولة فهو التحدث عن مشاعره.

كان ما يزال قابعاً في سيارته حين قاطع تحرك ما خط نظره. لم يكن ينظر إلى شيء محدد، لكنه يتأمل بشكل عام ناحية منزلها وهو غافل الذهن شارد.

استغرقه الأمر بضعة ثوان ليستوعب أن باب منزل آيمي فُتح، فوقفت هي بالباب، برفقة رجل ما. كان الرجل يرتدي معطفاً وهو يتفقد جيوبه كأنه يتحسسها ليجد شيئاً ما.

ما لم يفكر رافاييل به أبداً هو أن يجد رجلاً خارجاً من منزلها. لم يكن في خلفية حياة آيمي أي صديق حميم في الفترة الأخيرة، فمن يكون هذا بحق الجحيم؟ صفعت الغيرة قلب رافاييل بقوة كبيرة إلى حد جعله يشهق. إنه شعور لم يختبره من قبل. فتح باب سيارته، في الوقت الذي مال فيه الرجل نحو آيمي، فغمرها في عناق يعبر عن الحميمية الصرفة.

لم يدرك رافاييل بأنه يعدو، لكن لا بد أنه فعل لأن آيمي والرجل ابتعدا عن بعضهما كي ينظرا نحو قدميه اللتين تحدثان الضوضاء على طول الرصيف.

عندما وصل إليهما، مد يديه إلى الأمام ممسكاً بالرجل من طيّتي ياقة معطفه، فدفعه إلى الحائط، في حين حاولت آيمي أن تبعده عنه.

أدرك رافاييل أن الناس بدأوا يحدقون فيهم، فدفع الرجل إلى داخل المنزل، ثم ركل الباب بقدم واحدة فأقفله وراءهم، في حين كانت آيمي ما

تزال تحاول بغير جدوى أن ترده عنه.

قال رافاييل بشراسة وضراوة: «من أنت بحق الجحيم؟ وما الذي تفعله هنا؟».

- هلاّ تركته وشأنه؟

صرخت آيمي بذعر من خلف رافاييل الذي تجاهلها. فكل ذرة من تركيزه كانت مثبتة على وجه الرجل المرتعب المضطرب الذي بدا أنه فقد القدرة على الكلام.

- إصغ، يا صاحبي.

- أنا لست صاحبك.

قال رافاييل وهو يعضُّ على شفتيه، محاولاً التحكم بصوته، وكذلك بقبضتيه اللتين ما تزالان في مكانهما. على الرغم من أنه رغب بضرب الرجل، لكن لا بد من الاعتراف أن هذا الأخير ليس نداً مساوياً له جسدياً، فهو أقصر منه ببضع بوصات، ونحيل بالمقارنة مع بنيته العضلية الصلبة.

- اسمع، فقط دعني أذهب و...

جرى من بعدها تبادل خليط من الكلمات، حيث توسّل الرجل إليه بأن يطلق سراحه. في هذه الأثناء كانت آيمي تصرخ على رافاييل فتسأله عما يقوم به بحق السماء. أما رافاييل فكان يقول للرجل بصوتٍ غاضب، بأنه سوف يرميه خارجاً، فيما جعل آيمي تدرك أنه مصمم على معرفة ما الذي يفعله ذلك الرجل في منزلها.

طمأنت آيمي شقيقها بأنها على ما يرام، ثم استدارت نحو رافاييل واضعة يديها على وركيها، في حين امتلأت كل خلية من خلايا جسدها بغضب عارم.

حاولت التوجه نحو الباب، في حين مدّ رافاييل ذراعه ليسدّ طريقها: «لا مجال! لن تبرحي إلى أي مكان قبل أن تخبريني من هذا».

خلع رافاييل معطفه وقذفه على الكرسي المجاور له. صحيح أنه بدأ

يستعيد هدوءه، إلا أنه لن يشعر بالذنب حيال ما فعله للتو. على الرغم من أن آيمي أخذت ترمقه بعينين واسعتين غاضبتين.

- من تظن نفسك، رافاييل فايفس لتقتحم منزلي هكذا؟ كيف تجرؤ؟

- كيف يفترض بي أن أتصرف بحق الجحيم، وأنا أجدك تتبادلين الغرام مع رجل ما على مدخل منزلك!

مرّر رافاييل أصابعه من خلال شعره، وحملق في وجه آيمي قائلاً: «إنه محظوظ لأنني لم أضربه».

- ما زلت لم تخبرني عما تفعله هنا!

ردّ رافاييل من غير أن يتوقف لالتقاط أنفاسه قائلاً: «وأنت ما زلت لم تخبريني من هو ذاك الرجل!».

وقف كلٌ من رافاييل وآيمي في الممر كالمتحاربين. كانت آيمي ما تزال في حالة صدمة، في حين اشتعلت الآف الأسئلة متأججة في ذهنها. لقد اكتفت من كشف جميع أوراقها على الطاولة أمامه، واضعة نفسها تحت رحمته. لن تفعل ذلك مجدداً، أبداً!

استدارت بلفة سريعة، ومشت نحو المطبخ... لأنها حقاً بحاجة إلى الجلوس، فقد شعرت كأن رجليها تحولتا إلى هلام. أدركت أن رافاييل يلحق بها، ما جعل الشعيرات فوق رقبتها وظهرها تقف.

- حسناً؟!

طالبها رافاييل حالما وصلا إلى المطبخ. جلست آيمي في حين بقي رافاييل واقفاً، ما أعطاه أفضلية عليها.

ردّت آيمي بمرارة: «ليس الأمر من شأنك، فليس هنالك المزيد ليقال بيننا».

- آه! وهكذا قررت ببساطة أن تتوجهي خارجاً فتجدي رجلاً آخر؟

- هل تظنني من هذا الصنف من النساء؟ كلا، لا تجبني! لقد ظننت مرة أنني أسعى خلف الأموال، لذا أفترض أنني قادرة على فعل أي شيء بنظرك! أين هي حب حياتك؟

سألت آيمي ساخرة، وتابعت: «لا تقل لي إنك هجرتها مجدداً! أكره أن أقول لك هذا، لكن حتى أكثر النساء ذكاءً وتربية وقدرة على السيطرة على ذواتهن، يصلن إلى نقطة من الغضب بحيث لا يستطعن بعدها احتمال المزيد».

هزّ رافاييل رأسه وجلس قائلاً: «إليزابيث رحلت».

ففكرت آيمي، هاه! وهل فعلت هذا لكي تتمكن من البدء بالتحضير لليوم الموعود؟

- لقد أنهيت علاقتي بها.

- ماذا؟

نظرت آيمي بحذر إلى رافاييل، وهي تشعر أن قلبها المخادع يقفز، فحاولت جاهدة أن تدفعه إلى مكانه.

- لم يفلح الأمر. ظننت أنه قد ينجح، لكنني كنت مخطئاً.

أحسّت آيمي أنها بائسة تائقة إلى معرفة التفاصيل، لكنها تمسكت بعزمها، فحدقت برافاييل صامتة.

- والآن، أخبريني من كان هذا الرجل، آيمي.

ما زال رافاييل غير قادر على التحكم بالموجة الجياشة التي اندفعت متسارعة في جسده مسببة له الارتجاف. حاول استعادة تحكّمه بمنطقه العقلاني الهادىء تجاه السؤال، مفكراً بما قد يفعله في حال بدأت آيمي بإخباره التفاصيل المتعلقة بحبيبها الجديد.

- آه، بحق السماء رافاييل! إنه شقيقي جاك!

- شقيقك!

- الذي تعرض على الأرجح للكدمات والارتجاجات بفضلك!

- لمَ بحق الجحيم لم تخبريني ذلك على الفور؟

- لأنك لم تترك لي الفرصة لفعل ذلك!

وتابعت: «أعني، في لحظة كان شقيقي يعانقني، وفي اللحظة التالية أخذت تهاجمه! أخبرني كيف يتلاءم الحديث المؤدب اللائق مع هذا

www.elromancia.com

السيناريو الصغير؟».

ردّ رافاييل مكشراً: «لديك وجهة نظر!».

شقيقها! كان هذا شقيقها! إن الرجل هو شقيق آيمي... بالكاد صدّق رافاييل الارتياح الذي أحسّ به، فرغب بالقفز صعوداً ونزولاً، بل كاد يرقص من الفرح. يا لها من ردة فعل مضحكة! تماماً كما كانت ردة فعله بالاعتداء ضرباً على شقيقها، فذلك تصرّف لا يشبهه مطلقاً! لكن يبدو أن لا شيء يظل على حاله، وأنه تغيّر عما كان عليه في السابق، أم لا؟

- ما كان يفترض بي أن أهاجمه، حتى لو اعتقدت بأنك وجدت شخصاً آخر، أي وجدت بديلاً عني...

فكرت آيمي بكآبة: ليت الحياة بهذه البساطة!

أخيراً سألته: «لمَ فعلت ذلك؟ أعني ألست أنت من يكره إثارة الفضائح في العلن؟ كل ذلك الشغف والعاطفة اللتان أظهرتهما، رافاييل! ما كنت لأتوقع منك أبداً! لكن... لا... دعني أجيب بنفسي عن سؤالي هذا...».

نظرت آيمي إلى رافاييل بمرارة وقالت: «أنت ظننت بأن هذا ما سأرغب برؤيته. اعتقدت ذلك لأنني شخص منفتحٌ ويعبّر عن مشاعره، وأنني سأقع مصعوقة لدى رؤية رافاييل الذي لا يمانع بإظهار عواطفه... رافاييل ذو طباع جديدة تماماً. منحت صديقتك الحميمة السابقة فرصة أخرى لتصلحا الأمور بينكما، ثم قررت أن تستغلني لبعض الوقت، على الرغم من أنني لا أساوي شيئاً مقارنة بما تبحث عنه لعلاقة دائمة. هل أنا أسير في الاتجاه الصحيح لتفسير الأمور، رافاييل؟».

هبّت آيمي واقفة فجأة، فأحست أن رجليها متصلبتان كقطعتين من الحديد الصلب. لذا شعرت بحاجة للمشي كي تتحرك دورتها الدموية. من جهة أخرى، لم تكن ترغب بالنظر إلى رافاييل. لكن لسوء الحظ فإن مطبخها صغير جداً، ولا توجد فيه العديد من المواقع التي تجنبها رؤيته بوضوح تام يتكىء إلى المنضدة، جاعلاً كل ما يحيط به يبدو قزماً صغير

الحجم.

هذا الأمر لم يترك لها سوى خيار التوجه نحو غرفة الجلوس حيث المقاعد على الأقل مريحة أكثر.

حسناً! بإمكانهما أن يستمرا بالنقاش طيلة الليل، أو حتى تقول آيمي كل ما تريد قوله، ثم تقوم برمي رافاييل خارجاً.

لم تقم آيمي بإنارة الضوء الموجود في السقف، وعوضاً عن ذلك أنارت المصباح على طاولة جانبية. اندسّت بعدئذٍ في مقعدها المفضّل، وهو كرسي قديم مريح، كان شاهداً على انتحابها باكية أمام شاشة التلفزيون وهي تتابع العديد من الأفلام الحزينة.

تكلمت آيمي ببطء فيما راقبت رافاييل وهو يأخذ راحته بالجلوس على مقعد صغير جداً بالنسبة إلى حجمه. فقالت: «لا أدري كيف وصل بنا الأمر إلى هنا، رافاييل. لكن هذا كله خاطىء، فنحن ننتمي إلى عالمين مختلفين تماماً. بحق السماء! إننا حتى نعيش في بلدين بعيدين عن بعضهما!».

- نعم، أنت محقة. نحن كذلك.

- وما كان يفترض بنا أن نتورط مع بعضنا البعض مطلقاً.

- إنه أمر يبرهن لنا بأن القدر موجود حقاً، وهو يؤدي دوره بشكل جيد.

- كلا، إنه لا يفعل. إنه فقط يبرهن أننا بدأنا علاقة، لن نتمكن من الاستمرار بها.

- لماذا؟

- لماذا.. ماذا؟ لماذا بدأنا بها؟ لأنه... حسناً...! ذلك أمر مختلف! أنت بدأت بشيء لأنك رغبت بمعرفة المزيد عني وعن نواياي، فيما أنا بدأت الأمر.. وانتهى بانجذابي إليك... لكن ما كان يفترض بنا أن نقوم به، هو الانتباه إلى حقيقة أن علاقتنا ليست منطقية حقاً.

وقف رافاييل وجرّ مقعده إلى جانب آيمي، حتى أصبح على مقربة جداً

منها، فلم يعد عرض الغرفة يفصل بينهما. أصبح رافاييل قادراً على رؤيتها بوضوح في هذه الإضاءة الخفيفة اللطيفة، كما بمقدوره أن يلمسها لو شاء ذلك. فكر أن هذا أفضل بكثير!

فتحت آيمي فمها لتعترض على ذلك، فقام رافاييل بتغطية فمها بكفّه قائلاً: «لقد حظيت بدورك، والآن حان دوري. أموافقة أنتِ؟».

أومأت آيمي برأسها فأزاح يده. عندئذٍ قال رافاييل بهدوء: «بالنسبة لي، الأمر الوحيد الذي أعتبره غير منطقي هو حياتي الخالية من وجودك فيها».

كان رافاييل يسير على حافة هاوية شديدة الانحدار، لكنه لم يأبه لذلك. أحسّ أن الكلام يحرّره. لم يفهم كيف استطاع التشكيك بقدرته على كشف مشاعره لهذه المرأة، فقداكتشف الآن بأن هذا أسهل أمر يقوم به على الإطلاق. مدّ يده باحثاً عن يدها، فيما عيناه ما تزالان مثبتتين على وجهها.

- تناولنا من قبل ما جرى حينما تعارفنا، وتحدثنا عن غبائي لعدم إخبارك عن حقيقة من أكون، لذا يبدو لي ذلك خارجاً عن الموضوع الآن. أما الأمر الجوهري، الأمر الذي بدّل حياتي، فهو ما جعلتني أشعر به منذ أن تعرفت إليك، بدأت أرى العالم وحياتي ونفسي من منظار مختلف. هل تفهمين ما أقوله لك؟

- كلا، أيمكنك أن تشرح أكثر؟

شعرت آيمي بالخوف من أن ترمش عينيها، خشية أن تختفي هذه اللحظة السحرية كنفحة من الدخان.

ابتسم رافاييل وقد أمتعه الأمر. فتابع: «فقط إذا كنت متأكدة بأنني لا أسبب لك الضجر...».

سعلت آيمي لتنقي حلقها، وحاولت الحفاظ على توازنها فقالت: «آه! لا. من الجيد أن يظهر الرجال مشاعرهم، فالرجال الحقيقيون يبكون حتى».

- همم... لست متأكدٌ من ذلك... لكن ما أنا واثق منه هو أنني أسأت فهم ما هو جلي جداً لدى تعارفنا، رحت أقنع نفسي باعتبار الأمر غير مهم. أما حينما جئت بالطائرة إلى هنا لرؤيتك، فلم أتريث حتى لأفكر لماذا قادني انجذابي إلى التصرف على هذا النحو. لو فكرت بذلك من قبل، لتوصلت إلى الاستنتاج الصحيح قبل الآن...

سألت آيمي متأملة: «أي استنتاج».

نظر رافاييل نزولاً باتجاه أنامله المتشابكة مع أنامل آيمي، وتابع قائلاً: «ظننت بأن انجذابي نحوك حسي فقط وأنه أمرٌ مؤقت بيننا... نزوة عابرة لا بد أن تنتهي. ذلك هو سبب عودتي إلى إليزابيث. صممت على إعطاء علاقتي بها فرصة أخرى، لأنني اعتقدت أن ما أحس به تجاهها أهم مما أشعر به حيالك. مهما يكن، فعلى الورق، إليزابيث هي المرأة الملائمة تماماً لي. إنه أمرٌ يعيدني إلى ما قلته أنت، إن علاقتنا أنا وأنت ليست منطقية. على الورق قد لا ننسجم وليست علاقتنا منطقية، لكن الحب لا يلتزم بأية قواعد مكتوبة، أليس كذلك؟».

سألت آيمي بصوت منخفض يشبه الحفيف: «الحب؟!».

نظر رافاييل إلى آيمي ثم لمس جانب وجهها بيده وقال: «أليس هذا كله حباً؟ لقد أغرمت بك آيمي. أنت دخلت إلى حياتي المنظمة المحكمة الترتيب فقلبتها رأساً على عقب، لذلك أنهيت علاقتي بإليزابيث حين أدركت أنه لا يمكنني المضي قدماً في خداع نفسي. جئت إلى هنا لأخبرك أنه لا يمكنني العيش من دونك. أنا... أنا أقوم بمجازفة في اعتقادي بأنك... تبادليني المشاعر نفسها...».

تمتمت آيمي: «ولا بد أن ذلك صعب جداً عليك، فأنت لست مغامراً بطبيعتك».

فجأة، بدا لآيمي كأنها أمضت حياتها بأكملها وهي واقفة في مهب عاصفة هوجاء، وأن هذه العاصفة هدأت الآن. اتسمت عندها أفكارها بالوضوح وجلاء الرؤية، فقالت لرافاييل بصوت منخفض: «لكنك لست

تجازف، فأنا أحبك، حبيبي. أعني...».

لم تستطع آيمي مقاومة إطلاق ابتسامة سعيدة، ثم تابعت: «... أدرك أنني أقوم أحياناً بتصرفات اعتباطية ناتجة عن فورة من الحماس، لكن هل تظن حقاً أنني مررت بمكتبك فقط لأنني أشعر بانجذاب حسي نحوك؟».

- ما رأيك بأن نجلس معاً على تلك الأريكة المريحة هناك، بدلاً من جلوسنا منفصلين كل في مقعده، لنرى إن كانت قوة الانجذاب بيننا ما زالت كما نعهدها؟

أومأت آيمي موافقة، ثم جلسا متجاورين على الأريكة. مد رافاييل ذراعه خلف رأسها ليضمها إليه معانقاً، إلا أنها اعترضت قائلة: «مهلاً! لا تبدأ بإرباكي الآن بالعناق. ليس قبل أن... قبل أن ننهي حديثنا... بالنسبة لما سيحدث لاحقاً، أدرك أنك تواجه مشكلة مع الارتباط، لكن...».

- كان ذلك قبل أن أقع في حبك، أما الآن...

توقف عن إكمال جملته، ليضمها إليه في عناق حلو أذاب عظامها. انتاب رافاييل شعور وبأنه وجد مراده فتوقف عن عناقها ليتابع قائلاً: «أما بالنسبة لما سيحدث لاحقاً... آن أوان كي نتبادل المواقع أنا وجيمس. أعني أنه يمكن لشقيقي أن يبهر نيويورك بمواهبه الدعائية المدهشة، بينما يمكنني التحكم بالشركة من لندن والانطلاق بالأفكار التي كنت أخطط لها مسبقاً».

- أتعني أنك ستنتقل إلى هنا... لأجلي؟

- لأجلنا... مهما يكن. إن الأزواج والزوجات عادة يتشاركون الإقامة في البلد نفسه.

همست آيمي وقد بدأت عيناها تمتلئان بالدموع: «الآن سوف أبكي. أنت تعرف طبعي...».

ابتسم رافاييل وقلبه ممتلىء بحب غير مشروط، فبما بدا عاطفياً، مغتبطاً ورقيقاً جداً جداً.

- هل هذا يعني أنك موافقة...؟

- نعم، نعم، نعم، ونعم! آه، يا إلهي! هذا رائع جداً! بالكاد أستطيع الانتظار حتى نعلن خطوبتنا! وفي هذه الأثناء...

- في هذه الأثناء دعينا نرى كيف تعبر امرأة... عن حبها... للرجل الذي سوف يصبح خطيبها ثم... زوجها.

وفي اللحظة التالية غابا معاً في عناق حملهما إلى عالم الحب الرائع. عالم مليء بالثقة والرقة والشغف.

www.elromancia.com